التربيه الكنسية
بمار مينا بشبرا

المسيحية والجسد

تأليف

كمال حبيب

+

التربية الكنسية

بمار مينا شنودة

تقدم

المسيحية والجسد

تأليف

كمال صبيب

قداسة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تصدير

تهدف هذه الدراسة الى ايضاح مفهوم الجسد من خلال الانجيل وكتابات الآباء ؛ وقد ركز البحث على المعنيين الأساسيين لهذه الكلمة : المعنى الأول : الجسد كهيكل للنفخة الالهية وللروح القدس فى حياة المؤمنين .. والثانى : يقصد به الانسان العتيق الفاسد أو جسد الخطية الذى هو عداوة لله ؛ وأعماله هى الأعمال السلبية التى تنتقص من وجود الانسان وتشتته .. وقد أبرزت الدراسة أن مصدر الخطية ليس فى الجسد بل فى الروح ، وأن موضوع جهاد المؤمنين هو أن يجعل الجسد روحانيا ، وأن يتقدس بالرب يسوع حتى يتأهل للمجد العتيد المنتظر فى يوم مجيء الرب الأمين .

وقد عالج الباب الأول موضوع كرامة الجسد .. هذا الجسد الذى خلقه الله لآدم الأول ، وكان من أهم الخطوط التى سارت فيها الدراسة ابراز الوحدة القائمة بين النفس والجسد والتفاعل الحادث بين الشقين، وأن الانسان بوصفه صورة الله هو نقطة التلاقى بين ما هو مادى وما هو روحى ، وأن رسالته هى أن يكون وسيطا ومصالحا يجتذب الى واحد خلائق وتسابيح كل الخليقة لكى يستطيع الكل أن يرتفعوا فى انسجام الى الخالق ، وهو أيضا نقطة التلاقى بين العالم الخارجى والعالم الداخلى .. فهو الوسيلة التى بها نرى ما هو فى الداخل وما هو حولنا من أشياء . وعندما امتدت الدراسة الى معالجة موضوع الجسد فى حياة المسيح شرحت أسباب التجسد

وأهميته لاهوتيا وروحيا وبينت أن الله صار انسانا لكى يكون الانسان بنعمته الها .. وأن الله صار جسدا حتى من خلال المادة تنساب نعمة الله على الكنيسة . وأن الرب احتفظ بجسده بعد أن مجده بنور القيامة ليكون شفيعا ووسيطا وحيدا لجنس البشرية أمام الأب السماوى ..

* وعلى ذلك فقد أصبح الله حاضرا فى العالم وليس مشاركا لتاريخه فقط بل لجوهره أيضا .. وأصبح الانسان المختوم بالروح القدس حاملا للمسيح ، وصار جسد المعمد هيكلا للروح القدس وعضو فى جسد المسيح أى الكنيسة .. واذا كان هذا هو مركز الجسد فى نظر الله والكنيسة ، فلابد أن تكون نظرة المؤمن الى جسده وأعضائه وافرازاته نظرة نيرة طاهرة شفافة كما تصبح مسئولية المؤمن ازاء كرامة الهيكل أن يبذل جسده ويقدمه ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله كما قدم المسيح حياته محرقة مرضية أمام الأب السماوى .. وأن يحرص كل مؤمن على أن يلبس الرب يسوع ويتوشح بثوب العرس وزداء النعمة لكى يحيا فى العفاف الذى الله دعى كل مؤمن والا يشاكل هذا الدهر ولا يشترك فى أعمال الظلمة بل بالحرى يوبخها .

وأما الموضوع الثانى فى هذه الدراسة فهو معالجة الجسد من خلال المعنى الثانى زيادة . الذى سبق أن أوضحته مقدمة البحث وقد أبرز هذا الفصل خطورة ثنائية الارادة عند الانسان وأهمية صلب الجسد عند المسيحى وكيف أنه لا يستطيع المؤمن أن يصل الى الكمال المسيحى ان لم يحارب ضد الأوجاع الكبرى والأهواء والميول الصغيرة أيضا . على انه ليست كل حرب تكلل بالنجاح فلابد للحرب الروحيه أن تكون نعمة الله هى حجر الزاوية والأساس الأول فى بنيانها وقيامها سواء كان ذلك فى الأوجاع الجسديه

أو النفسية أو الفكرية أو الارادية فعملية صلب الجسد تبدأ بالمسيح وتستمر مع المسيح وتنتهى الى المسيح ٠

واذا كانت مجالات حروب الجسد هى الشهوة الحسية والطمع والتمرد فان الفضائل الثلاث التى يحرص عليها المؤمن للنصرة فى هذه الحروب هى العفة والفقر الاختيارى والطاعة ٠٠

وأما الموضوع الثالث فهو تدبير الجسد لكى نجوز كل أيام حياتنا ببر وطهارة وتدبير حسن لنكمل بقية أيام حياتنا بلا عثرة٠ وقد أوضح هذا الموضوع أثر التدبير الجسدى فى التدبير الروحى وأبعاد النسك فى هذا التدبير ، وخطورة الانحراف التى تهدد المسيحى فى تدبيره الجسدى، اذ قد يتجه الى اضعاف الجسد واهماله الى حد اعياءه وفشله فى تأدية رسالته أو الى تدليله والتلذذ واهمال النسك الى حد الانحلال ٠

واذا كانت النعمة تسرى فى أرواحنا فانها تمتد أيضا الى نفوسنا ثم الى أجسادنا حتى أن الجسد بالنسك المسيحى المستنير يتروحن ويتهيأ الى الحياة الممجدة التى ننتظره عندما يقوم من بين الأموات ليقابل الرب على السحاب .. وقد طبق الاتجاه المستنير فى تدبير الجسد على كل من الأكل والعمل والراحة والملبس والزينة والكلام والحواس وخاصة العين والدافع الجنسى ٠٠ وفى كل من هذه المجالات حرصت الدراسة على ابراز أهمية صلب الاهواء مع وضع المبادىء والقواعد والمناهج المسيحية الاصيلة التى تحكم عملية المارسة والأداء لكل من هذه الأنشطة ٠

أما الموضوع الأخير فهو قيامة الجسد والادلة على حقيقة القيامة وايضاح معنى الآية القائلة أننا متوقعون التبنى فداء اجسادنا ، وشرح كل ما يتعلق بفداء الجسد وتمجيده وتجليه وتجلى الكون كله عند مجىء الرب يسوع المسيح فى مجده ومجد أبيه ٠

هذه الدراسة المتواضعة التى لم تتعمق كثيرا لاتساع الموضوع وللحرص على اعطاء صورة عامة وخطوط عامة انما تقدم مجالات واشارات لكل من يريد أن يمضى فى أى موضوع من هذه الموضوعات الى أبعاد أكثر عمقا وشمولا ..

نسأل الهنا الحبيب الذى لبس جسدنا ليعطينا كرامة أولاد الله ووهبنا التبنى وصار لنا بكرا بين اخوة كثيرين . نسأله أن يقدس أجسادنا ونفوسنا وأرواحنا لكى بقلب طاهر ووجه غير مخزى نقف أمامه مهللين ومسبحين اسمه العظيم القدوس آمين .

مقدمة

معنى كلمة الجسد

ان أول مرة يذكر فيها كلمة الجسد هو في الاصحاح الثاني من سفر التكوين حين « خلق الله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية .. ثم أخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما ، وبنى الرب الاله الضلع التي أخذها من آدم امرأة ، واحضرها الى آدم فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي .. هذه تدعى امرأة لانها من امرء أخذت .. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويتمسك بامرأته ويكونان جسدا واحدا » تك ٢ : ٢٢ـ٢٤

فالجسد هو ما أعد لكي ينال النفخة الالهية ليحيا بها ، وهذه النفخة المحيية لها طابع شخصي مادامت تحيي الجسد ، اذ أنها علاوة على كونها نفخة الله هي أيضا النفخة الشخصية التي لكل واحد على حدة ، والوحدة بين النفس والجسد كانت منذ بداية خلقة الانسان ، لان الله عندما خلق الانسان على صورته ومثاله لم تكن عملية الخلق للنفس وحدها وانما للنفس والجسد معا .

فالنموذج الالهي الذي وضع في جنة عدن كان يتضمن أن يكون الانسان جسدا ونفسا في كل واحد متكامل يعمل في انسجام تام مستغلا جميع ما لديه من قوى روحية ونفسية وجسدية كي يتمتع بحياة الشركة الالهية وفرح اللقيا المقدس وسعادة الوجود تحت كنف الله ورعاية الثالوث الأقدس ..

فكلمة الجسد هنا وان كانت تعبر عن الهيكل المادي الذي يحتوي

النفخة الالهية ، الا أنه لا يمكن فصله في المفهوم والمعنى عن وحدة الكيان الانساني حتى أننا نجد كلمة الجسد تقترب من مفهوم الشخص أو الكيان أو الوجود الانساني ..

●

وعندما دخلت الخطيئة الى العالم بجسد أبليس أفسدت هذا النموذج الرائع وشوهت جمال الخطة الالهية في الانسان .. لقد مزعت الوحدة التي كانت بين الانسان والله ، ومزعت الوحدة التي كانت بين الانسان ونفسه ، ومزعت الوحدة بين الإنسان والآخرين وهذا أمر سوف نعالجه بالتفصيل في فصل قادم . ولكن ما نعنيه هنا أن تيار الاثم الذي دخل الى العالم ولوث الانسان في روحه ونفسه وجسده أعطى للجسد مفهوما آخر تحدث عنه بولس الرسول بكثرة واسهاب في رسائله العديدة وهو ما نسميه بالانسان العتيق، والانسان الفاسد حسب غرور الحياة ، وسر الاثم ... ويلخص هذه المعاني كلها في كلمة [الجسد] . فكلمة جسد هنا تعني ما هو ضد الروح وكلمة جسداني تعني الحياة الساقطة المشوشة الناتجة عن العصيان ، والتي لم تقتدي بعد بالنعمة ولم تعمل فيها الحياة الالهية عملها لتستقيم وتحيا حسب الحق والقداسة والبر ..

هناك معنيان اذن للجسد :

المعنى الأول : الجسد كهيكل للنفخة الالهية وهذا قد صار في المسيحية هيكلا للروح القدس وعضوا في جسد المسيح .

والمعنى الثاني : الانسان العتيق الفاسد .. أو جسد الخطية الذي هو عداوة لله وأعماله زنا ونجاسة ودعارة وبدع ..

وباختصار فان كل ما هو من العالم وليس من الآب هو الجسد في معناه الثاني .

وكثيرا ما يختلط على البعض المعنيان ، فيتصورون أن أجسادنا التى هى أعضاء المسيح والتى هى هياكل للروح القدس ، والتى قد أشتريت بثمن غال كى نمجد الله فيها ، والتى دعيت الى أن تكون ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ... كثيرا ما ينظر اليها البعض على أنها هى الأهواء والشهوات والعداوة الموجهة لله الأمر الذى أوجد فى الكنيسة أحيانا النسك الخاطىء والدعوة الى اماتة الجسد والابتعاد عن الزواج ورفض تناول كثير من الأطعمة وهى بدع ظهرت فى الكنيسة منذ عصرها الأول وحاربها آباؤنا الرسل ـ وخاصة رسول الجهاد ـ حربا شعواء ..

وسوف نعالج هذين المعنيين فى كتابنا هذا .. فعندما نتكلم عن الجسد ككيان انسانى وكهيكل لروح الله لابد لنا أن نذكر شيئا عن كرامة الجسد وتدبير الجسد وعفة الجسد وتمجيد الجسد ..

وعندما نعالج المعنى الثانى سوف نضمنه الفصل الخاص بصلب الجسد ..

وسنحرص فى ثنايا معالجة كل فصل من هذه الفصول أن نؤكد الفارق بين المعنى الأول والمعنى الثانى بغية تنقية التربية الدينية من كل نسك خاطىء ومفاهيم غير سليمة واتجاهات روحية غير متفقة مع الحق فى الانجيل ..

+ + +

كرامة الجسد

+ الجسد فى حياة آدم
+ الجسد فى حياة السيد المسيح
+ الجسد فى حياة المسيحى الحقيقى

الجسد فى حياة آدم

عندما خلق الله آدم فى الجنة خلقه جسدا ونفسا ، ونفخ فيه نفخة الحياة . ويبين لنا الكتاب المقدس أن الله خلق الانسان على صورته كشبهه . وأن ما عمله الله اذ هو حسن جدا ، وأن الانسان دعى ليكون صاحب سلطان على الخليقة المادية كلها اذ جبل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البريه وكل طيور السماء ، وأحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها . فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية ..

والذى يؤكد أن الحيوانات والخليقة المادية كلها ليست نظير الانسان ، أن هذه الخلائق كلها وان كانت من الأرض مثل جسد آدم الا أنها لم تعط نفخة الحياة من الله القدوس ، وأن الله لما أراد أن يكون لآدم شريكا نظيره بنى الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها الى آدم ورسم سر الزيجة بأن يكون الرجل والمرأة جسدا واحدا ..

وكان الجسد فى الجنة بسيطا روحانيا شفافا ، والعين فيه نقية طاهرة الى درجة أن كلاهما كانا عريانين وهما لا يخجلان ..

ويلزمنا أن نشير الى أن **هدف خلقة آدم وحواء فى الجنة كان منحصرا فى ايجاد حياة شركة وصلة حميمة مع الله ، وايجاد شركة بين آدم وحواء ولنسلهما من بعدهما حتى تكون ألفة الحب التى تجمع الكثيرين فى واحد مثالا وظلا للوحدة المقدسة التى يتمتع بها الثالوث الأقدس منذ الأزل ..**

والجسد مدعو مع النفس أن يشترك ـ في حياة آدم ـ في عمل هذه الشركة مع الله وتلك الوحدة مع الآخرين ..

فالنفس وحدها ليست انسانا والجسد وحده ليس انسانا وكل منهما على حدة ليس انسانا ولكن الانسان هو الترابط القائم بينهما على حد تعبير القديس ايريناوس « ان الجسد هو علامة الشخص وظهوره » .

وفي هذا يقول القديس اغريغوريوس بالاماس « بأنه حين قيل أن الله خلق الانسان حسب صورته **فان كلمة الانسان لا تعني النفس وحدها ولا الجسد وحده بل كليهما معا** »

وليس الانسان نفسا مسجونة في جسم بل هو نفس وجسم في وحدة سيكو ـ فسيولوجية . والانسان كوحدة مؤلفة من النفس والجسد يستطيع أن يعلن تماما شخصيته المخلوقة على صورة الله . وهذا التكوين الخاص لطبيعة الانسان الذي يوحد بين عناصر المخلوقات المختلفه هو الذي جعل الآباء يتحدثون عنه بوصفه عالما مصغرا » (ميكروكوزمس)

وتؤكد الدراسات الطبية الحديثة الوحدة القائمة بين الجسد والنفس ، ففي كل منهما رنين الآخر .. والطبيب البشري اليوم لابد له أن يدرس الأمراض النفسية مع الأمراض البدنية لما للبدن والنفس من أثر مشترك متبادل في حياة الانسان الذي هو كل مترابط .

ومن المعروف أن كل حدت انفعالي وكل نشاط ذهني يؤدي الى تغييرات في الغدد والعضلات وأن كل اضطراب في الغدد والهرمونات يؤدي الى تأثيرات كبيرة على مزاج الانسان وحالته النفسية ..

هذا على الصعيد الجسمي والنفسي وأما على الصعيد الروحي فان الحياة الروحية تؤثر على الجسد كما أن ضبط الجسد وتهذيبه وتربيته تهيىء مجالا عظيما للروحانية .

والملاحظ في الحياة العملية أن وجه القديس شيء ووجه الفاسق شيء آخر . فكل من الاثنين يعكس عالما داخليا مختلفا تماما . فالجسد هو التعبير عن النفس تماما ، كالكلام الذى يعبر عن الفكر . فالابتسامة الرقيقة تعبر عن الترحيب النفسى الداخلى ، والقبلة المطبوعة على جبين الآخر تعبر عن الحب أو الشوق أو مشاعر الحنان الانسانية الراقية ، والدموع فى مآقى العينين تعبر عن الأسى والحزن العميق أو عن التوبة الصادقة ورغبة النفس فى العودة الى الله . والصوت الخفيض مع الركب المنحنية وقرع الصدر دلالة على انسحاق الروح ـ ان كانت النفس خالية من النفاق والرياء .

والانسان عن طريق جسده يستطيع أن يتقابل مع الآخرين .. انه الواسطة التى يتحقق بها حضور نفس لنفس أخرى ..

فأنا عندما أشتاق الى أخ عزيز أسرع الى لقائه وأجلس بجواره، وهنا جسدى يهيىء المجال للقبا والانعطاف والتعبير عما فى الداخل من مودة وحب صاف ..

وأنا عندما أريد أن أخدم الآخرين فلن أخدمهم فقط بالنية والأفكار ، بل يسرع جسدى الى أداء دوره الهام عندما يلتقط النوايا والأفكار ويترجمها الى سلوك وتعبيرات وخدمات وأعمال .. فالجسد مجال لتحقيق الرابطة والألفة بين الانسان والآخرين ..

والزوج مع زوجته لا يكتفى بالنية المسبوقة اخلاصا ولا بالحب المدفين فى القلب ، ولكن الجسد يعبر عن هذه المشاعر المخلصة ويزيدها اتحادا وعمقا عندما تكتمل وحدة الأجسام مع وحدة القلوب فى سر الزواج ..

وللقديس أوغسطينوس قول مأثور فى وحدة التفاعل بين الجسد والروح : «**من ليس روحانيا حتى فى جسده يصير جسدانيا حتى فى روحه**» .

على أن هناك الكثير من الكتاب المسيحيين بدلا من توكيد الناحيه الجسمية المتضمنة في الصورة الالهية قد انحرفوا نحو نوع من الملائكية (Angelism) فاذ بهم يتغاضون عن الجسد بوصفه عائقا ومعطلا ، أو هو شيء لا صلة له بالحياة الروحية ، ودخيل على طبيعة الانسان ، فكأنهم يزعمون بأن هدفنا كمخلوقات بشرية هو أن نجعل أنفسنا ملائكة قدر المستطاع ٠٠ ولكن هذا الاتجاه على قدر أنه براق الا أنه لا يتفق مع قصد الله من الانسان فالله أعطى الانسان جسدا ماديا كما أعطاه نفسا ، وهاتان العطيتان متحدتان في وحدة أساسية ومن المستحيل أن يحاول الانسان أن يتجرد من جسده ليحول نفسه ملاكا ٠٠ يجب على الانسان الا يسعى الى تناسي جسده والتعالى عليه ، بل عليه أن يعتز بجسده ويستعمله كهبة الهية داخلة في خطة خلاصه ٠٠

والكثيرون يظنون أن الانسان أقل مرتبه من الملائكة لأن له جسدا بينما هم أرواح مجردة ، ولكن القديس اغريغوريوس بالاماس يذهب الى أن الانسان أعلى مرتبة من الملائكة لأن الانسان يجمع بين العالمين المادى واللامادى ٠٠ هو وسط يؤلف جسرا بين الأرضى والسمائى ٠٠ هو نقطة التقاء لكل خليقة الله ٠٠ ومن خلاله يمكن للكون كله أن يتراءى أمام الله (٢) ٠

« فالانسان يستطيع أن يحول الأمور المادية الى قربان مقدس وتقدمة الهيه ، وهذا لا نستطيع أن تعمله الملائكه ولا يمكن للوحوش والحيوانات أن تصنعه ٠٠ فالانسان هو كاهن الخليقة الوحيد لأنه هو المجال الوحيد بين الكون المخلوق والنعمة الخالقة حاملا في نفسه كليهما ٠٠ هو ملتقى الحياة الداخلية الباطنية والحياة الخارجية الاجتماعية ٠٠ هو ملتقى المادة والروح » (٣) ٠

لقد أصبح وسيطا ومجالا يجمع الى واحد تسبيح كل الخليقة ورسالته هي أن يكون وسيطا ومصالحا يجتذب الى واحد مدائح

وتسابيح كل الخليقة لكي يستطيع الكل أن يرتفعوا فى انسجام الى الخالق .. ولقد أصبح المسئول أن يسبح على الدوام عن الخليقة كلها كنائب ومسئول عنها .. لذلك رأينا الفئة الثلاث فى تسبيحهم الله وسط الاثنين يهتفون « سبحى الرب أيتها السموات ، أيتها الأرض ، الجبال ، الأكام ، السهول ، المياه ، الأنهار ؛ الأشجار .. الخ » .

ومن خلال هذه النظرة نستطيع أن نفهم السبب الذى من أجله تحرص الكنيسة على أن تصلى فى أواشيها عن الاهوية والمياه والعشب ونبات الحقل ، وأن يعطى الله مزاجا حسنا للهواء ..

ان الانسان ـ فى خلقته ـ يحمل فى جسده خصائص الطبيعة غير العاقلة (المادة) ومن هنا صار نائبا عنها أمام الله . وهو وحده فى الخلائق المادية الذى يحمل صورة الله ، يحمل النطق والحرية والعقل .. وهذا ما لا تتمتع به أية كائنات أخرى أرضية ..

والتأمل فى العقل والنطق والحرية يمجد الله على ما وهبه للانسان ، فالعقل تاج وضع لكى يكلل الخلقة الآدمية ويعطيها الشخصية الفريدة فى الكائنات كلها ..

والنطق هو التعبير الفريد عما يصنعه العقل من صور ذهنية وأفكار ومفاهيم ورغبات ومدركات ..

والحرية هى أعظم ما تتمتع به الانسان ككائن ومخلوق . انه يحمل شبها لله الذى يحيا فى الحرية الحقيقية .. وحرية الانسان تمكنه أن يختار ما يريد وأن يعمل ما يشاء .. هذه الامكانية غير متوفرة لأية كائن آخر من الكائنات التى تعيش تحت سلطان نواميس وحتميات جبرية .

●

انى كلما أطالع المراجع القيمة ودوائر المعارف الثمينة ، وكلما أشاهد أو أسمع عن المنجزات العلمية المذهلة أسجد أمام الله مكرما نعمة العقل التى أعطانى اياها الله ..

وكلما أقرأ كتب الفلاسفة ـ المؤمنين منهم أو الملحدين ـ أمجد الهى على الحرية التى منحها الله للانسان حتى أنه يستطيع أن ينكر وجود من خلقه ويتصرف وينزع وفق تفكيره الحر وعواه الشخصى .

وكلما أبحث فى التراث الانسانى أدرك عظمة خلقة الانسان الذى ينمو فى المعرفة ويتعمق فى التعرف على أسرار الكون ويتحكم ويسيطر على الطبيعة كلها محققا ومنفذا الأمر الالهى أن يكون آدم وبنيه سادة على الخليقة المادية كلها ..

وكلما أبحث فى العلاقات الانسانية وأتلامس مع الأبوة والأمومة والأخوة والبنوة وشركة الزوجية أمجد الله على ما استودعه الخالق فى حياة الانسان من مشاعر رقيقه مرهفة وأحاسيس راقيه سامية لن تجد مثيلا لها فى الخليقة كلها ..

ويكفى أن الله عندما أراد أن يعبر عن علاقته بالانسان استعار الأبوة والأمومة والأخوة ومشاعر الانسان وعلاقاته ليصور بها حنوه ولطفه ورفقته وتأديبه وحزمه .

وكلما سبحت بخاطرى فى علاقات الانسان الاجتماعيه وما وصل اليها من روح عالمية حتى صارت أية مشكلة ما فى بلد نائيه تقض مضجع الانسان وهو على بعد آلاف الأميال من هذا البلد . وكلما تطلعت الى المؤسسات العالمية والخدمات الانسانية العالمية أرى صورة الله فى الانسان الذى سقط ؛ ولكنه رغم سقوطه يحمل عبر الرداء الممزق أبهى الصور وأروعها ..

بل وتجدنى كلما أتفرس فى النظام العجيب الذى يحكم وظائف أعضاء الجسد وذلك الانسجام والاتساق المدهش بين مختلف

العمليات الفسيولوجية والبيولوجيه والسيكولوجيه ، وكلما أتأمل في روعة الدقه المذهلة التي تحكم الغدد الداخلية مثلا أو الجهاز الهضمي أو التنفس أو التناسلي أقدم للرب الخضوع والسجود والشكر على ما وهبنا في الجسد من عجائب تسمو وتعلو عما في الخليقة كلها من عظمة مدهشة ٠ : اننا نستطيع أن نلمح قدرة الله في جسد الانسان وفيه نشاهد معظم النظريات والآلات التي ظهرت في عالم الصناعة والفن والتكنولوجيا ، فالاسنان كالمطاحن الهائلة والقلب عباره عن مضخة ماصة كابسة ، والجهاز العصبي شبيه آلات التليفون وأسلاك الكهرباء التي تنقل التيارات والاشارات ، والأذن تشبه سماعة الطبيب أو الميكروفون والحنجرة تشبه بعض الآلات الموسيقية ، والعين جهاز عجيب لا تضارعه أدق آلات التصوير والعظام في متانتها وقوتها على ما هي عليه من الدقة والمرونة تفوق أقسى الأعمدة التي تصب لتشييد عليها القصور والعمارات : (٤) ٠٠ أيها الرب ربنا ما أمجد اسمك في الأرض كلها ٠٠ وما أعظم اعمالك كلها بحكمة صنعت (مز ١٠٤ : ٢٤) ٠

واذا كان الانسان رغم سقوطه في الجنة ـ ونزول اللعنة عليه ؛ فيه هذا الجمال كله وهذه النعم العظيمة ٠٠ كم كان اذن أبونا آدم في الجنة قبل السقوط !! وكيف كان مجده ؟ ! حقا لقد كان آدم حينئه كما كان يعيش في جنة ٠٠

كان أبونا الأول متمتعا بكل قواه الروحيه ، والنفسيه ، والجسميه والعقليه ٠٠ وكان متمتعا بشركته مع الثالوث الأقدس ، وبشركة الحب مع حواء ، ولكن الخطيئة التي دخلت الى العالم بحسد أبليس أسقطت آدم وأدت به الى الموت ونال جسده مثلما نالت نفسه من آثار العصيان الشيء الكثير ٠٠

ـ لقد أصبح جسده جسدا ضعيفا تؤثر عليه الظروف الطبيعية تأثيرا سيئا فيسقط تحت الأمراض الجسمية المختلفة ٠٠

وصار عليه أن يتقى هذه الأمراض ويعالجها .. وهذه معاناة كبيرة ..

+ ولقد اصبح معرضا للصراع بين قواه الداخلية بسبب الجموح والتمرد الداخلى وهذا يسقطه تحت الأمراض النفسية كما يصيبه بالتعصبات والتحيزات والاتجاهات النفسية المنحرفة .. وصار عليه أن يتقى كل هذه الانحرافات ويعالجها .. وهذه معاناة أخرى كبيرة .

+ ولقد أصبح متجها نحو الاختلاف مع الآخرين الأمر الذى يصل بالانقسامات المختلفة وألوان الشقاق والحروب والمنازعات على مستوى الأفراد والجماعات والأمم .. وصار عليه أن يجاهد ضد هذه الأمراض ويعالجها وهذه معاناة ثالثة خطيرة .

– وأكثر من هذا كله .. وأخطر من هذا كله ، أن جسده الذى كان مدعوا لخدمة روحه أصبح محلا للتمرد والجموح .. واختلت الغرائز وظهرت نتائج هذا فى الاشتعال الشهوانى والانحرافات الجنسية والفكرية ، الأمر الذى اغضب الله ولا يزال يغضبه كثيرا .. وما طوفان نوح وابادة سدوم وعامورة وفتح الارض فاهها لتبلع قورح وداثان وأبيرام ، وخروج الحيات لتقتل الآلاف من شعب الله فى البرية ولانحطاطهم الشهوانى وتطلعهم الملح نحو نهم البطن وشهوات الجسد .. الا أمثلة لما أصاب الجسد من انحراف ، وما أدى به من نتائج محزنة أفسدت النموذج المبارك والخطة الالهية التى وضعت فى الجنة .

واذا كان الانسان بطبيعته الأدمية حريصا على اشباع جسده فيلزمه أن يعرف ان نفسه أيضا تجوع وتعطش .. لقد خلقت النفس على صورة الله ومثاله وهى لا تشبع الا اذا كانت فى شركة مع الله تأكل من جسم النعمة وتشرب من ماء الحياة . انها تحتاج

الى أن تغتذى بالفضيلة وترتوى بالنعمة وتستقى من نبع كلمة الله.. ولكن هيهات للانسان الجسدى أن يلتفت الى متطلبات روحه التواقه الى الحق والبر والتقوى والفضيلة والحب ..

ولما وجد الله أن الانسان قد انحط وفسد ولم توجد طريقة ما لاصلاح ما أفسدته الخطيئة احتمل الله مسئولية هذا الاصلاح والتزم بقضية الانسان وألقى بنفسه فى طبيعة البشر الساقطة ونزل من سماء المجد لكى يعيد اليها بهاءها ومجدها ومكانتها الالهية .

+ • + • +

الجسد فى حياة السيد المسيح

لقد سقطت الطبيعة البشرية فى جنة عدن ، وتدنست الخليقة المادية كلها بسموم تاجها وكاهنها فى المعصية .

واذا كان البعض — من غير المسيحيين — يرى أن التوبة كانت كافيه لاعاده آدم الى مركزه الأول فان أثناسيوس الرسول يرى أن التوبة لا تستطيع أن ترفى مطالب الله العادلة لأنه ان لم يظل الانسان فى قبضة الموت يكون الله غير صادق ..

هذا بالاضافة الى أن التوبة تعجز عن أن تغير طبيعة الانسان لأن كل ما تفعله هو أنها تقف حائلا بينه وبين ارتكاب الخطيئة ..

وهكذا لو كان ما ارتكبه الانسان لم يتبعه الفساد لكانت التوبة كافيه ، أما الآن وقد أصبح الفساد هو طبيعة آدم فقد حرم من تلك النعمة التى سبق أن أعطيت له : لم يبق غير أن يتقدم كلمة الله الذى خلق كل شىء من العدم ليرد الى آدم نعمته السليبة (٥) .

من أجل هذا **صار الكلمة جسدا** وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد الأب .

وفى هذا الصدد يقول حامى الايمان « واذ رأى الكلمة أن ناموس فساد البشريه لا يمكن ابطاله الا بالموت ، وأنه مستحيل أن يتحمل الكلمة الموت لأنه خالد باق غير خاضع لناموس الموت أخذ لنفسه جسدا قابلا للموت حتى باتحاده بالكلمة يكون جديرا بأن يموت نيابة عن الجميع ، وهذا عين ما قاله الرسول بولس « لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذافى المسيح سيحيا الجميع » (١ كو ١٥ : ٢٢) وفى موضع آخر يقول « **فاذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضا فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت** • أى أبليس ويعتق أولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية » (عب ٢ : ١٤ و ١٥) •

ان الموت لم يكن خارج جسد آدم حتى تأتيه الحياة من خارجه ، أما وقد صار الموت ممتزجا أيضا وسائدا عليه فكان مطلوبا أن تمتزج الحياة بالجسد حتى اذا ما لبس الجسد الحياه نزع منه الموت •

واذ انحط فكر البشر تدريجيا الى الأمور الحسيه فقد استتر الكلمة بظهوره فى الجسد لكى يستطيع كانسان أن ينقل البشر الى ذاته ويركز احساساتهم فى شخصه (٦) •• أليس هذا هو ما عناه بولس الرسول بقوله « وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا الى كل ملء الله » (أف ٣ : ١٨ ـ ١٩) •

ان المسيح بتجسده أوجد الانسان كما كان يقصده الآب السماوى •

وأعاد النموذج الذى كان فى تدبيره وأوجد التصالح بين الجسد والروح وأعطى لنفسه أن تتغذى على الحق وتقتات بطعام هو صنع مشيئة الآب (يو ٤ : ٣٤) وأكد لنا أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ••

لقد نطق بيلاطس في محاكمته للرب يسوع وقال عنه : [**هوذا الانسان**] . نعم ! هو الانسان الكامل وفيه كل ملء الله .. ان المسيح الذى أعيدت الصورة منه الى بهائها الأول هو عينه السر الاعظم الذى يستعلن فيه سر القصد الالهى للفداء ..

والكنيسة مدعوة عن طريق قداسة جميع أعضائها واتحادهم برأس أن يحققوا فى وحدتهم النموذج الذى قصده الآب السماوى فيكونوا جسدا سريا للمسيح : ويكون المسيح رأسا وتاجا لهذا الجسد المقدس .. وفى هذا يقول الرسول بولس « بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شىء الى ذاك الذى هو الرأس المسيح الذى منه كل الجسد مركبا معا ومقترنا بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة .. الى أن ننتهى جميعنا الى وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله ، **الى انسان كامل ، الى قياس ملء المسيح** » (أفس ٤ : ١٣ ـ ١٦) .

وجدير بالذكر أن تجسد ابن الله ومشاركته لطبيعة الانسان هذه المشاركة الصميمية لم يكن لأجل غفران خطيئة آدم وبنيه فقط ، وانما كان استعلانا لمحبة الله الآب الراغبة فى أن تفتدى الكون كله وتمكنه من النجو .

لقد صار الله انسانا لكى ينعمنّ يجعل الانسان الها .. وهذا هو لب الانجيل كما تفهمه آباء الكنيسة . ففى التجسد اتخذ الله جسدا لكى يستعلن مجد الله خلال الأشياء المادية : « الذى كان من البدء الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة » .

فالجسد الذى سيدخل الحياة الأبدية من القيامة له نصيب فى حياة الله .. حتى فى هذه الحياة الأرضية وهذا هو السر الأعظم المقدس الذى ترتكز عليه كل أسرار الحياة المسيحيه .. فنعمة المسيح الالهية تنساب خلال الجسد وهى سر المسيح فى الكنيسة ..

وبالتأكيد ان الكنيسة الارثوذكسية على حق حين ترى في التجسد لا حدثا فريدا منفصلا بذاته بل تراه استعلانا لمحبة الله الراعية في أن تفتدي الكون كله وتمكنه من التجلي .. وشخص يسوع الناصري الذي حل فيه ملء اللاهوت جسديا هو نقطة الارتكاز الذي تشع منه الحضرة الالهية الى العالم وتأتي بالكنيسة الى الحياة .. فحضرة الله موجودة خلال حياة الكنيسة بأسرها (٧) » .

ولقد صار لكل مؤمن الحق في التأمل فيما صنعته أعضاء جسد المسيح لأجل خلاصنا فيداه الطاهرتان لمستا المرضى ، وقدماه سعيا في طريق الخلاص ، وعيناه نظرتا الى ضعفاتنا برفق وحنو وشفاء ، واذناه سمعت صراخ المستغيثين به وحنت احشاؤه لكل خاطىء وضعيف ومسكين ومعوز .. اننا يا سيدنا لا نستطيع أن ننسى كم تحملت أعضاؤك وحواسك من متاعب في سبيل خلاصنا رأسك كللت بالشوك لتهبنى اتضاع الفكر ، ويداك ورجلاك سمرت بالمسامير لتمزق صك خطاياي وتبطل فعل الشهوة وتمرد في جسدي وجنبك طعن بالحربة لتهبنى مكانا مفتوحا معدا لدخولى احضانك .. وفمك ذاق المر لكي استعذب مرارة الجهاد واحسبها شركة حب والم وطبرك جلد بالسياط لاحتمل كل ثقل من أثقال الأخوة بفرح دون أنين .. نعم يا رب مستحق أن تأخذ حياتنا كلها لانك أعطيتنا حياتك وحبك .

+ مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات ، والذي أحبنا وأعطانا ابنه الوحيد لكي يكون لنا برا وفداء وقداسة ومنحنا من خلاله البنوة فصرنا للآب أبناء بالتبنى وصرنا لابنه المبارك الممجد المعبود يسوع المسيح اخوة ؛ وصار هو بكرا بين اخوة كثيرين ..

+ ومبارك الرب يسوع فادينا ومخلصنا الصالح الذي استهان بالخزي والعار ولبس طبيعتنا المائتة وشابهنا في كل شيء فيما

عدا الخطية وحدها . وأخذ ما لنا وأعطانا ما له وصرنا شركاء الطبيعة الالهيـــة من خلال الايمـــان به والاتحاد بجســـده ودمه الأقدسين ؛ ومبارك وامين فى وعده السماوى أنه سيأتى سريعا ليأخذنا ونكون معه وأما طبيعتنا الساقطة هذه وجسدنا الفاسد هذا فسوف يلبسه مجدا ونورا وبهاء ليكون على شبه جســـد قيامته .

[لك المجـد يـا ربى فى كل مـا أعطيتنـا ووهبتنـا
اعطنا أن نحيا كما يليق للدعوة التى دعوتنا اياها ..]

+ ومبـارك روح الله القدوس الذى ختمنا بروح الموعد القدوس عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده ..

مسبح وممجد أبيا الثالوث الأقدس فى كل حين والى سـائر الدهور آمين ..

+ ◆ + ◆ +

الجسد فى حياة المسيحى الحقيق

لقد قدس الرب الطبيعة الانسانية عندما اتحد بها واحتضنها وصار مسئولا عنها وراعيا لها ومدبرا لخلاصها .. وعندما صـــعد الى السمـــاء وجلس عن يمين أبيـــه احتفظ بجســـده الذى أخذه من الروح القدس والعذراء القديســـة مريم بعد أن لبس قوة ومجد ونور وبهاء القيامة ..

وهكذا أصبحت البشرية ممثلة فى شـــفيعها ووســـيطها أمام الآب الســـماوى يســـوع المســـيح رب المجـــد .. ودخلت الطبيعة الانسانية فى أعماق اللاهوت كما أصبح الله فى أعماق الانسان .. لقد حمل الرب مأساة الانسان وصار مسئولا عنه الى الأبد .

« نعم لقد أخذ الرب الى السماء مادة عالمنا باكملها الى أعمق أعماق الحقيقة الالهية ·· **لقد أصبح الله حاضرا فى العالم وليس مشاركا لتاريخه فقط بل لجوهره ايضا** » (٨) ··

لقد أخذ ابن الله الجسم الانسانى الى الأبد ، والطبيعة البشرية لا يمكن فصلها عن شخص المسيح ·· ومن أجل هذا حرمت الكنيسة تسطور الهرطوقى لأنه فصل الطبيعية الالهية عن الطبيعة الناسوتيه كما قطعت وشجبت أوطاخيا المبتدع الذى نادى بذوبان الانسانى فى الالهى عند المسيح ··

لقد أصبح الانسان المختوم بالروح القدس حاملا للمسيح (خريستوفوروس) ، ومن أجل هذا نجد لقب المتوشح بالله وحامل الله من الألقاب التى أعطتها الكنيسة لبعض القديسين . لأن الرب وعد أنه ان حفظ أحد وصاياه يحبه ويأتى اليه هو والآب وعنده يصنع منزلا ·· ويخيل الى أيضا ان الكنيسة الأرثوذكسية على حق عميق فى اقرارها بأنه الى جانب العناصر التى تقدست فى سر الافخارستيا توجب تبجيل رفات القديسين وشخصيات الكهنه وجميع الايقونات المكرسة لأنهم جميعا بطرق مختلفة ودرجات متفاوتة رموز للمسيح وفيهم جميعا يعمن الله حضرته (٨) ·

حقيقة انه لم يتغير جسد الانسان المؤمن فى شكله الخارجى وفى وظائف أعضائه وفى كافه عملياته البيولوجية ·· فجسد آدم الأول هو الذى نرثه به من آبائنا وأمهاتنا لأنه مكتوب « المولود من الجسد جسد هو » ·· ولكن الذى عملته النعمة باسحقاقات دم المسيح على الصليب هو خلق انسان جديد فينا وزرع طبيعةجديدة ليست من مشيئة دم ولا جسد ولا رجل ولكن من الله ·· هذا الجديد الذى يولد فينا بالماء والروح وينمو من خلال أسرار الكنيسة المقدسة ويرتوى بكلمة الله ويغتذى بالجسد والدم الأقدسين ويحفظ بمتاريس وختوم سر الميرون ، ويتجدد بسر التوبة ويكثر أعضاء

الكنيسة من خلال سر الزيجة ، ويمارس الخدمة التكريسية من خلال سر الكهنوت .. هذا الجديد وان كان مختبئا في الداخل الا انه كيان حقيقي يعيشه المؤمن ويحيا حريصا على نموه أكثر من حرصه على النمو الجسدي والنفسي والعقلي والاجتماعي ..

ان هذا الجديد هو ملكوت الله فينا .. هو الحياة الجديدة التي ستنطلق يوما الى المجد الذي تعيشه كنيسة الأبكار ..

وما دمنا قد تكلمنا عن الانسان العتيق والانسان الجديد يلزمنا ان نعرف أنه ليس في المسيحية ثنائية كيانية بين الروح والجسد أي اننا لسنا أمام عنصرين متنافرين ومختلفين تمام الاختلاف بل الثنائية الموجودة هي ثنائية أخلاقية ، ثنائية في الارادة فقط بمعنى أن ما ندعوه بأعمال الجسد هي الأعمال السلبية التي تنتقص من وجود الانسان وتشينه ، هي الخطيئة .

وان ما ندعوه بأعمال الروح هي الأعمال الايجابية التي تبني وجوده بالمحبة وتوحده برباط السلام .

ان مصدر الخطيئة ليس في الجسد بل في الروح . وموضوع جهاد المؤمن أن يجعل الجسد روحانيا .. فغاية الجسد في المسيحية هي أن يتقدس بالرب يسوع لأن أجسادنا هي أعضاء المسيح والجسد الروحاني يتخلى عن مطامع العالم وينكر ذاته ليصبح بالجهد الأخلاقي والرياضة الروحية هيكلا حقيقيا للروح القدس : (٩)

وباختصار فان جسد الانسان المؤمن المعمد قد صار هيكلا للروح القدس وعضوا في جسد المسيح ..

وفي هذا يقول الرسول بولس :

" ألستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم ، الذي لكم من الله ، وأنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتم

بثمن .. فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله »
(١ كو ٦ : ١٩ـ٢٠)

وفى موضع آخر يقول :

« ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح . أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية » (١ كو ٦ : ١٥)

ولا يفهم من قول الرسول هذا أنه يعتبر أجسادنا أعضاء مجازية وأن العضوية هنا عضوية معنوية ، وانما الحقيقة التى يؤكدها الكتاب المقدس هو أننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظمه (أفس ٥ : ٣٠)

وكيف لا نكون أعضاء حقيقيين فى جسده المقدس ونحن نتناول على المذبح جسده الطاهر ودمه الكريم كى نتحد به ونتقدس به لنكون شركاء الطبيعة الالهية . ونلتفت الى الصورة عينها لكى نؤهل الى حياة المجد التى دعينا اليها حيث يسوع دخل كسابق لأجلنا . وأما الذى يعمل خطية من الخطايا فهو لا يهين جسده فقط بل يهين عماده باسم الثالوث الأقدس ومسحه بالميرون الطاهر ويزدرى بجسد المسيح ودمه الذى يسكن داخله ..

لقد أصبح جسد الانسان فى المسيح يسوع وعاء يتقبل الفرح الروحى والتكوين الأبدى تمهيدا لتجليه وتمجيده فى السماء ..

■

نظرة المسيحى الى أعضاء جسده وافرازاته :

النظرة المسيحية السليمة هى أن جميع أعضاء الجسم ذات كرامة لانها كلها تشترك فى تكوين هيكل الروح القدس . فليس هناك ـ فى المسيحية ـ أعضاء طاهرة وأعضاء نجسة أو قبيحة .

وهل يمكن أن يخلق الله هيكلا يكون فيه جزء دنس أو نجس؟!

لقد أفاض بولس الرسول فى شرح كرامة أعضاء الجسد فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس وأعطى أهمية خاصة الى الأعضاء التى ننظر اليها على أنها أعضاء قبيحة .. اذ يقول « ... بل بالأولى أعضاء الجسد التى تظهر أضعف هى ضرورية ، وأعضاء الجسد التى نحسب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل ، **والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل** ، وأما الجميلة فينا فليس لها احتياج لكن الله مزج الجسد معطيا الناقص كرامة أفضل »

(١ كو ١٢ : ٢٢ ـ ٢٤)

وتعليقا على هذه الأقوال المقدسة نقول اننا نهتم بشعر الرأس مثلا لأنه عضو جميل فى الجسد ، ولكنه لا يساوى شيئا فى القيمة الحقيقية للجسد اذا قورن بالأعضاء التناسلية ـ مثلا ـ التى وهبها الله قوة الحياة والانسال وايجاد الخلف واستمرار الوجود .. فان كانت هناك أعضاء تستحق التقدير والكرامة فهى الأعضاء الخجلة التى يظن غير العارفين أنها تخبأ لقبحها والحقيقة أنها تستر لأجل كرامتها وقيمتها الغالية وحتى لا تصير نهبا لكل الناظرين ..

فيلزمنا اذن عندما نقترب من هذه الأعضاء أن نشعر أننا نتقدم الى قدس أقداس الهيكل الجسمى .. فليكن فكرنا طاهرا وليكن لنا الوقار اللائق ، ولتكن الأبواب مغلقة والنفس خاشعة .. عند الحديث عن الجنس والأعضاء التناسلية يلزمنا أن نحيط هذه الأمور بالتقديس لا رعبا ولا خشية ولا فزعا وانما تقديرا لأعضاء عطاها الله هذه القيمة والكرامة ..

يقول القديس اكليمنضس الاسكندرى « لا يجب أن نخزى ن الأعضاء التى لم يخز الله من خلقتها »

ويرتبط بالاحترام والتوقير لهذه الأعضاء عدم اثارتها الا فى

تأدية وظيفتها بعد أن تكون قد باركت بسر الزيجة وأخذت الأمر الالهى بالسماح بالعمل ، فان الانفعال الجسدى هنا يكون تعبيرا عن انفعال روحى مقدس ينمو فى شركة الزوجة ، وقمه يفتدى الحب كل ما فى الشهوة الجنسية من ضعف ..

وليست الغريزة الجنسية فى الانسان كمثيلتها فى الحيوان حتى يمكننا أن نعبر عنها فى الانسان أنها غريزة حيوانية بهيمية لأن الدافع الحيوانى متير واستجابة لا أكثر ولا أقل أما فى الانسان فان الجنسية مشحونة بأرقى العواطف وأنبل المشاعر ، انه ليس حقا ولا عدلا أن نعد عمل الأعضاء الجنسية سواء فى الرجل أو فى المرأة ضمن الجزء الأدنى من طبيعتنا مساوية بمستوى الحيوان العادى بل انه من الحق والانصاف أن نعد نشاط هذه الأعضاء من أرقى وأسمى نواحى نشاطنا الحيوى وأكفأ انفعالاتنا التى تؤهلنا لكى نكون أسمى مخلوقات على وجه الأرض .

■

ويرتبط بهذا الاتجاه النظرة السليمة ازاء افرازات الجسد .. فان البعض ـ متأثر بشريعة النجاسة فى العهد القديم ـ يتصور أن المرأة فى أوقات الحيض تكون نجسة ، وأنها أثناء الولادة لا تكون طاهرة ... والحقيقة أننا لا نكاد نجد أفضل مما كتبه القديس أثناسيوس الرسولى فى أمون الراهب عن اتجاهات المسيحى ازاء الافرازات الطبيعية فى جسم الانسان اذ يتساءل القديس : ما هى **الخطية ؟ وما هى النجاسة التى توجد فى أى افراز طبيعى ؟[كما لو كان فكر الانسان مهتما بأن يجعل افرازات الأنف وبصاق الفم موضوع ذنب وادانة !!** يلزم أن نصف افرازات البطن كضرورة طبيعية لحياة الكائن الحى !!

وفوق ذلك ، ان كنا نؤمن ـ كما تقول الكتب الالهية ـ أن

الانسان هو من عمل يدى الله . فكيف يمكن أن ينتج عمل دنس من قوة نقية ؟! واذا كنا نحن ذرية الله حسبما جاء فى أعمال الرسل الالهية فليس فى أنفسنا شىء نجس اذن بحسب خلقتنا ، ولكن حينما نرتكب الخطية فعندئذ فقط نعرض أنفسنا للدنس ، وعندما يحدث أى افراز جسيدى بدون تدخل الارادة فاننا نعرف هذا ـ كما فى أشياء أخرى ـ أنه بضرورة الطبيعة ولن يقدمنا أى افراز طبيعى للعقاب والدينونة ..

ويستطرد أثناسيوس الرسولى فى الدفاع عن طهارة افرازات الجسد أمام جماعة الأشرار المبتدعين الذين انشمروا أنذاك قائلين ان افرازات أعضاء معينة فى الجسم ـ وخاصة للمرأة ـ تسبب للانسان نجاسة . وقد خصص لهذا الموضوع رسالة خاصة .. لذلك يجب ألا ننظر الى المرأة الوالدة والحائض أنها نجسة ولا نظن أن منعها من التناول من الأسرار فترة معينة الا نوعا من المحافظة على صحتها وراحة لضميرها عندما تكون فى فترة معينة غير قادرة على الوقوف ساعات طويلة للعبادة . فبدلا من أن تجعل الكنيسة راحتها نصيحة جعلتها أمرا واجب الخضوع (١٠) .

والرب يسوع نفسه أكد لنا أنه ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان ، ولكن ما يخرج من القلب وحده هو الذى ينجس ... ومن ثم ، صارت نظرة المؤمنين الحقيقيين الى أجسادهم وافرازاتها وأنشطتها نظرة طاهرة وقورة . وطالما قد أصبح المسيح حاضرا فى القلب مقدس الهيكل كله فلن يبقى فيه شىء نجس .. هوذا الكل قد صار جديدا ..

مسئولية المؤمن ازاء كرامة الهيكل

يناشد الرسول أهل روميه قائلا : « أسألكم أيها الأخوة برأفة الله أن **تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقليه** ... **ولا تشاكلوا هذا الدهر** بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة»
(رو ١٢ : ١ ــ ٢)

وفى نفس الرسالة يوضح الرسول مسئولية المؤمن ازاء كرامة جسده فيقول « قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور ؛ لنسلك بلياقة كما من النهار لا بالبطر والسكر بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيرا للجسد لأجل الشهوات .
(رو ١٣ : ١٢ ــ ١٤)

وفى موضع آخر من نفس الرسالة يقول : « اذا لا نملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته ، ولا تقدموا أعضاءكم آلات اثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات **وأعضاءكم آلات بر لله** ... لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيدا للنجاسة والأثم للاثم هكذا الآن **قدموا أعضاءكم عبيدا للبر للقداسة** .
(رو ٦ : ١٢ ــ ١٩)

ويمكننا من خلال هذه المقتطفات الثلاث من أقوال الرسول بولس ومن خلال ما سبق ذكره عن كرامة الجسد عند المسيحى المؤمن ، أن نحدد مسئوليته ازاء هذا الهيكل المكرم فيما يلى :

المسئولية الأولى : « قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله » .

فالجسد لم يعط للتلذذ وممارسة الأعمال المتسمة بالأنانية :

ولكنه وهب لكي يبذل وينفق ويتفق لأجل الآخرين .. ان الذي يمتنع عن استخدام جسده في أعمال تمجد الله كمثل ذلك الذي أخذ الوزنة وطمرها في الرمال وعندما جاء صاحبها لم يقدم مع الوزنة أرباحا ..

يقول أحد القديسين في مجال بذل الذات [يا يسوع اني أقرب نفسي معك ذبيحة ، اني اضحي بنفسي تضحية تامة كاملة بدون أن أستبقي لذاتي أدنى شيء . هأنذا ملقى على المذبح فاذبح يا رب. اذبح . تمم الذبيحة . لاشئ وأفن كل ما تجده في من الانسان الفاسد . افن جميع هذه الشهوات الأرضية والعواطف الجسدية والرغائب البشرية وهذه الحواس التي ترهقني وهذا الجسد جسد الخطية .. اعطني أن أصلب للعالم والعالم يصلب لي كي أكون قد تم كل شيء] (١١) .

ويلزمنا أن نوضح أن البذل هنا لا يعني اهلاك الهيكل وافساده وتدميره كأن يعمل المسيحي حتى تنهار صحته وتخور قواه فمن صميم مسئولية البذل العناية الضرورية والتدبير الحسن لجميع قوى الجسد حتى يستطيع الانسان من خلال جسمه السوي الصحيح ان يقدم أعمال بذل وخدمات محبة . وانما المقصود بالبذل هو اظهار حياة الله فينا لأننا رائحة المسيح الزكية (٢ كو ٢ : ١٥) .. فالمسيح يود أن يجعلنا من خلال بذل ذواتنا صورة مقدسة له لكي كل من ينظر الينا يشاهد فينا رسما صالحا لذلك الذي خلقنا وفدانا ولكي كلما أشتم أحد رائحتنا يتنسم رائحة الطهارة وعبير القداسة التي له (ظاهرين انكم رسالة المسيح معروفة ومقروءة من جميع الناس) (٢ كو ٣ : ٢) .

ومجالات البذل أمام الانسان واسعة للغاية ، فهو يستطيع أن يقدم من خلال أعمال جسده .. رحمة ومودة وخدمات وتضحيات ولطفا ورقة وعذوبة وأعمالا مباركة تمجد اسم الله العظيم القدوس .

وميادين بذل الجسد لا تقف عند حد القريب والاب والأم والأخ والزوجة وغيرهم ولكن بذل الجسد يلزم أن يمتد الى خدمة الآخرين والبعيدين .. ان علامة وجود الحب المسيحى فى الهيكل الانسانى أن الشخص يكون تواقا لاداء أعمال المحبة **دون تعصب أو تحيز ما ..** وان كان لابد له أن ينعطف أكثر ويتحيز أكثر ويتعصب أكثر فانه ينحاز ويتعصب للمسكين والفقير والضعيف والمعوز والمحتاج والمرفوض ..

ان المحبة يجب أن تحتمل لأجل المحبوب ، ولا معنى للمحبة التى لا تعرف العمل والتضحية ، فحماة سمعان لما أبرأها المسيح من الحمى قامت للوقت وأخذت تخدمه (لو ٤ : ٩) ، ومرثا كانت تخدمه بجد وغيره ، ونساء كثيرات كن يخدمنه بأموالهن وعواطفهن (لو ٨ : ٣) وهكذا يجب على كل نفس متعلقة بحبه أن تخدمه خدمة صادقة بالروح والجسد (١٢) .

ولا يظن أحد أن أعمال البذل هى الخدمات الروحية المعروفة فقط وانما نلزم أن نوضح أن الأعمال الانسانية والخدمات الوطنية والمهام الوظيفية اليومية اذا قدمت ـ بروح مسيحية ـ فانها كثيرا ما تكون شهادة مباركة أمام الذين هم من خارج .

ونستطيع أن نرى فى البذل الانسانى فى المجالات العلمية والطبية والمخترعات الحديثة وتطوير وسائل التكنولوجيا ـ ان قدم بروح مسيحية باذلة ـ أنه يحقق وينفذ الامر الالهى المعطى للانسان أن يتسلط على الخليقة المادية كلها ويكون ليها تاجا وكاهنا ومسئولا .

العالم المسيحى الذى يجهد عقله ويضنى صحته لاكتشاف وسائل علاج صحية أو توفير وسائل الراحة والشفاء للانسان ، أيضع على مذبح التضحية قربانا مقبولا طالما هو يهدف الى مجد الله وخدمة اسمه العظيم القدوس من خلال اراحة البشرية المعذبة ..

والأخت الزوجة التي لم تنجب أولادا وتشترك مع زوجها في احتضان أبناء ملجأ من الملاجيء أو الاشراف على أعمال وطنية وخدمات اسعاف وتمريض وعلاج للجرحى والمرضى .. مثل هذه الأخت مع زوجها يقدمان للرب بخورا طاهرا مقبولا طالما يهدفان الى مجد الله من خلال هذه الأعمال الانسانية المجيدة .

والشاب المسيحي التقي العفيف الذي يحفظ بأكسير شبابه ويمتنع عن الشهوات الشبابية ويبذل صحته وطاقته في العبادة والتسبيح ثم يمكرس لهذا العمل الملائكي فيتفرغ لخدمة الملك العظيم وحده .. هذا يبذل جسده على مستوى مريم ـ كما يبذل السابقون في الذكر ـ أجسادهم على مستوى مرثا .. وكلا النوعين له مجالاته وخدماته المقبولة أمام الله ، وان كان الرب قد فضل خدمة مريم عن مرثا ، لأن الأولى اختارت النصيب الاصلح ..

المسئولية الثانية : « البسوا الرب يسوع »

ولا يستطيع الانسان أن يؤدي الشهادة المطلوبة والمسئولية الموضوعة من ناحية بذل الجسد الا اذا لبس الرب يسوع .. لأن أعمال الذات مهما وخدماتها وأنشطتها غير مقبولة أمام الآب السماوي .. وكل بذل يعمل ان لم يكن الرب يسوع بدايته ونهايته ، وما بين الألف والياء فيه ، يكون نشاطا اجتماعيا مجردا غير محسوب لصالح الانسان في الحياة الأبدية ...

من أجل هذا يعلمنا الرسول بولس أن نلبس الرب يسوع ونتشبح بالنعمة كل حين حتى لا تظهر تفاهة الذات الكفيلة أن تحول كل تقدمة الى عمل لمجدها وانتفاخها وليس لمجد الله وحده ..

ونحن حين نتشبح بالمسيح من خلال الصلاة والانجيل وممارسة وسائط النعمة نستطيع أن نعطي للجسد كرامته الحقيقية لأن كل

ما فى الجسد يتروحن ويتقدس ويتطهر .. وأما العتيق الفاسد فانه يصلب ويخضعه المسيحى اذ ذاك لارادة الروح ومشيئة النعمة وتوجيه الله وحده ..

وهذا العمل هو الذى يعطى للجسد حياة العفاف المسيحى لأنه مستحيل للانسان مهما بلغ من قوة الارادة الصلبة أن يواجه دوافعه الأولية وميوله الجسدانية ويصمد أمامها وحده ، وانما الحب الالهى وحده هو الذى يقدس الجسد ، ويهون المعاناة ، ويعطى الصبر ، ويمنح الفرح والسلام ..

ان مخلصنا الصالح لما أراد أن يأكل الفصح أعدوا له عشية مفروشة مزينة ، ولما دخل أورشليم فرشوا له أغصان الزيتون والشباب .. والرسول يصف المؤمن بأنه عروس المسيح (لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح) (٢كو١١:٢) والعروس يلزمها أن تتشح بثوب العرس حتى تتأهل لاستقبال العريس والسكنى معه فى دياره المقدسة .

يقول أحد الآباء فى صدد أهمية الاستعداد المستمر لسكنى المسيح فى داخل الهيكل « هوذا نوح الرجل البار قد كد مدة مائة سنة فى بناء سفينة ليخلص بها نفر قليل وأنا كيف يمكننى أن أستعد فى ساعة واحدة لكى أقبل باحترام صانع العالم . انموسى عبدك العظيم وخليلك الخاص قد صنع تابوتا من خشب لا يعتريه فساد وغشاه بالذهب الخالص ليضع فيه لوحى الشريعة ، وأنا الخليقة الفاسدة أجسر غير مبال على أن أتناولك أنت واضع الشريعة وواهب الحياة !! ان سليمان الاحكم من جميع ملوك اسرائيل قد بنى فى سبع سنين هيكلا بديعا لاجل مديح اسمك وأقام عيدا لتدشينه ثمانية أيام وقرب ألف ذبيحة سلامه ونصب باحتفال عظيم تابوت العهد فى المكان المعد له فيما بين أصوات البوق والتهليل وأنا الشقى الأفقر من جميع الناس كيف أدخلك بيتى وأنا لا أكاد

أعرف نصف ساعة في عبادة ؟! وكيف أتشح بك وألبس ثوب برك وأنا لا أعطيك اهتمام القلب واخلاص النية ؟! » (١٣) .

المسئولية الثالثة : « لا تشاكلوا هذا الدهر »

ويرتبط بالمسئولية الثانية هذه المسئولية أيضا ، فمن الطبيعي أن الذي يتوشح بالله ويتسربل بثوب النعمة أن يكون حريصا على عدم تقديم أعضاءه آلات اثم للخطية ، وأن يكون حريصا أيضا على أن يخلع أعمال الظلمة ويلبس أسلحة النور ، وأن يسلك بلياقة كما في النهار ويرفض أعمال الظلمة من بطر وسكر ومضاجع وعهر وخصام وحسد ..

والمسيحي الذي أدرك قيمة كرامة جسده يحرص دائما على أن يتجدد ذهنه دائما ليختبر ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة .. وتجديد الذهن عنده يكون دائما بالتوبة والاعتراف الصادق ، ومراجعة النفس ومحاسبتها بأمانة ، وبالخلوة فترات متقاربة لاكتشاف ما اذا كان قد تسرب الى الداخل شيئا من أعمال الظلمة.

وكلما تجدد الذهن كلما استنار وزادت حساسيته واشراقه ، وكلما استطاع أن يعرف مقاصد الله وارادته الصالحة في كل عمل يتقدم اليه الانسان .. وهو يحرص أيضا على أن تكون طرقه لارضاء ارادة الله الصالحة طرقا مرضية ، فهو لا يتفق مع مكيافللي في أن الوسيلة تبرر الغاية ، وانما تكون طرقه كأهدافه تماما ذات الطابع الروحي المسيحي الحقيقي ، وهو يحرص أيضا على أن تنفذ ارادة الله الصالحة المرضية على مستوى كامل ولن يكون العمل كاملا الا اذا كان روح الله القدوس هو العامل فينا لأنه به وحده نستطيع أن نرضي الكامل الحقيقي ..

لأجل هذا ينادينا صوت الرسول في هذه الأيام هل نحن نشابه أهل العالم في أهدافهم وطرائقهم أم أننا قد صرنا خليقة جديدة بالحقيقة في الداخل والخارج أيضا ؟!

ولا بد من الاشارة الى أن كثيرا من المسيحيين فى هذه الأيام يهينون أجسادهم عندما يعرضونها للابتذال ، وعندما يلبسون الملابس غير المحتشمة ، وعندما يظهرون بمظاهر مخجلة لا تتفق وكرامة هيكل يسكنه روح الله القدوس ..

وكما دخل المسيح له المجد الهيكل وطرد الباعة والصيارف الذين اسمهانوا بكرامته كذلك هو يظهر غضبه على كل من يهين جسده ويجعله عرضة للنجاسة وأعمال الشيطان لانه مكتوب اية موافقة لهيكل الله مع الأوثان (٢ كو ٦ : ١٤)

+ ◆ + ◆ +

صلب الجسد

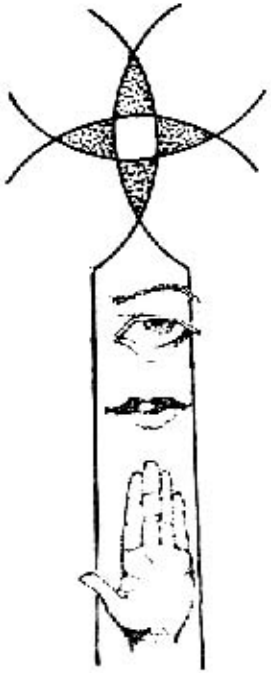

- أهمية صلب الجسد
- دور النعمة الالهية فى الجهاد ضد الجسد
- مجالات صلب الجسد فى حياة المؤمن
  - + الأوجاع الجسدية الحسية
  - – الأوجاع النفسية والعاطفيه
  - + الأوجاع الفكرية والمعرفية
  - + أوجاع الارادة والذات

صلب الجسد

سبق أن أوضحنا أن الجسد هنا يعنى الانسان العتيق ، الانسان الفاسد بحسب شرور وشهوات وغرور هذا العالم ، وفى هذا المعنى تقترب كلمة الجسد من كلمة الذات فيكون صلب الجسد قريبا فى المعنى من كلمة صلب الذات ..

فما هي أهمية صلب الجسد ؟ وما دور النعمة الالهية فى هذا الجهاد ؟ وما هى المجالات التى يجاهد فيها المؤمن لصلب الانسان العتيق ؟

■ **أهمية صلب الجسد :**

يصور الرسول بولس طبيعة البشر الجسدية فى رسالته الى رومية بقوله : «مملوئين من كل اثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسدا وقتلا وخصاما ومكرا وسوءا ، نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شرورا غير طائعين لوالديهم بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة ..» (رو ١ : ٢٩ ـ ٣١)

فالجميع ـ بدون المسيح ـ تحت سلطان الخطية ، كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد ، الجميع زاغوا وفسدوا معا ، ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد » (رو ٣ : ١٢)

وذلك أمر طبيعى لأن الانسان ورث الفساد مع السمات الجسمية والنفسية التى يرثها من الوالدين ، وفى هذا يعبر داود النبى بقوله « بالآثام حبل بى وبالخطايا اشتهتنى أمى » مزمور ٥١

ويوضح هذا الاتجاه الرسول بولس فى قوله « كأنما بانسان

واحد دخلت الخطيئة الى العالم وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطأ الجميع » رو ٥ : ١٢

وقد أوضح الرسول بولس عمل الانسان العتيق فى الانسان وشرح ثنائية الارادة التى تملك كل شخص لم يتبرر ويتقدس بالمسيح وفى المسيح ، شرح هذه الثنائية فى قوله « لانى لست أعرف ما أنا أفعله اذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فاياه أفعل . فان كنت أفعل ما لست أريده فانى أصادق الناموس أنه حسن فالآن لست بعد أفعل ذلك **أنا بل الخطية الساكنة فى ، فانى أعلم انه ليس ساكن فى أى فى جسدى شئ، صالح .** لأن الارادة حاضرة عندى وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد .. لانى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فاياه أفعل .. ولكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى الى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى . ويحى أنا الانسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت !! » (رو ٧ : ١٥ـ٢٥)

ويعبر الرسول أيضا عن خطورة الجسد (الانسان العتيق) فى حياة الانسان بقوله فى الاصحاح الثامن من رومية :

+ الذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله ..
+ ان عشتم حسب الجسد فستموتون ..
+ اهتمام الجسد هو عداوة لله ..
+ اهتمام الجسد هو موت ..

وفى رسالة غلاطية يؤكد الرسول ما ذكر فى رومية بقوله : « وانما أقول اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم احدهما الآخر حتى تفعلوا ما لا تريدون .. وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنى عبارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر وأمثال هذه

التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضا ان الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله » (غلا ٥ : ١٦ـ٢١)

فالجهاد ضد الجسد أمر لازم لكل مسيحي .. والذي يميز المؤمنين الحقيقيين عن غير المؤمنين هو جهادهم ضد شهواتهم وأهوائهم وميولهم الرديئة . فالمؤمنون المسيحيون كأولاد للطاعة لا يشاكلون شهواتهم السابقة في جهالتهم بل نظير القدوس الذي دعاهم يعيشون في القداسة في كل سيرة « لأننا كنا نحن قبلا أغبياء غير طائعين ضالين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة عائشين في الخبث والحسد ممقوتين مبغضين بعضنا لبعض .. ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس » (تيطس ٣ : ٤) .

شكرا لله الذي وهبنا بالعمودية الانسان الجديد والذي أعطانا بالنعمة والتوبة غلبة الانسان الفاسد الساكن في أعضائنا الذي يريد أن يسبينا الى الموت ..

ويشرح القديس ثيوفان الناسك أهمية صلب الأهواء في قوله « انك ان انتصرت وأمت أهواءك الدنسة وشهواتك ورغباتك الرديئة فان الله يسر بك كثيرا .. اذ تعمل لأجله بصورة أكثر جمالا مما لو أدميت جسدك بالجلد وأتعبت نفسك بالأصوام أكثر من سواح البرية ، وحتى لو خلصت مئات من العبيد المسيحيين من كفرهم وأطلقتهم الى الحرية فهذا لا يخلصك أنت ان بقيت عبدا لاهوائك الرديئة وأي عمل مهما كان مجيدا ومهما كانت تضحيتك فيه لا يوصلك الى هدفك المنشود ان تركت أوجاعك ولم تلتفت اليها تاركا لها حرية العمل فيك » (١٤) .

ويؤكد هذا القديس عينه ضرورة الجهاد ضد الاهواء الصغرى كما يجاهد الانسان ضد الاوجاع الكبرى بقوله « ان السبب في أن

أناسا لا يصلون الى ملء الكمال المسيحى هو عدم اهتمامهم اشفاقا على ذواتهم ... فانهم بعد أن يتغلبوا على ميول الأوجاع الكبرى لا يعبأون بالصغرى التى تبدو قليلة الأهمية ، ومن حيث أن هذه الميول الصغيرة هى رد فعل وليدة هذه الكبيرة فبالتغاضى عنها لابد أن تنمو وتكبر وهكذا تستمر موجودة تعمل فى القلب بالرغم من أنها فى الواقع لا تظهر نفسها على نطاق واسع » (١٥) .

وهكذا تصير مسئولية الانسان المسيحى أن يجاهد ضد كل ما هو من العالم سواء كان شهوة الجسد أو شهوة العيون أو تعظم المعيشة ..

والرسول بطرس يبين لنا أهمية صلب الجسد واحتمال الآلام وفائدة هذه الآلام فى ابطال الاوجاع الجسدية والشهوات الحسية بقوله : فاذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد فتسلحوا أنتم أيضا بهذه النية ، فان من تألم فى الجسد كف عن الخطية لكى لا يعيش أيضا الزمان الباقى فى الجسد لشهوات الناس بل لارادة الله »
(١ بط ٤ : ١ ـ ٢)

وكلما ارتقى المؤمن فى جهاده الروحى ضد شهوات الجسد كلما استنارت نفسه وروحه وفكره وصارت لديه الشفافية والحساسية التى تجعله ينفر من كل شائبة أو هفوة أو عمل يغضب صلاح الله فيه ..

لأجل هذا لا تعجب اذا سمعنا عن قديسين ظلوا سنين طويلة يبكون بدموع على خطاياهم .. ذلك لان نموهم الروحى أعطاهم الحساسية المرهفة التى تدر الدمع على فكر أو عمل نسهين به نحن فى جهادنا ..

وكنيستنا تعلم بأن الجهاد الروحى ضد الاهواء والشهوات عملية مستمرة حتى الموت تحقيقا لقول الرسول « تموتوا خلاصكم بخوف

وزعدة ٠٠ من يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » ٠٠ لأجل هذا تنهض همة كل مؤمن أن يصحو ويسهر ويصلى لانه لا يعرف الوقت ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الانسان ٠ « ولأن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات » (أف ٦ : ١٢) ، فعدونا ابليس كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه منتظرا من يتكاسل وينتهاون فى الجهاد ويلقى بالأسلحة الروحية حتى يهاجمه ويبدد تعبه ويجرح عفته محاولا ادخال روح اليأس أو الملل والضجر أو أى تجربة تسقطه وتنهى جهاده ٠٠

■ دور النعمة الالهية فى الجهاد ضد الجسد :

على أنه ليس كل جهاد كفيل أن يوصل الانسان الى الجعالة فهناك جهاد قانونى٠٠ وهناك جهاد غير قانونى ٠٠ والجهاد القانونى هو الجهاد الذى لا يعتمد على بر الذات أو بر الناموس ، ولكنه يعتمد كلية على بر المسيح ٠٠

فالجهاد الذى يعتمد على الذراع البشرى جهاد غير مقبول ٠٠

والجهاد الذى يرتكن كلية على تصميم الارادة البشرية وحدها جهاد مرفوض ٠٠

والجهاد الذى لا يهدف الى تمليك نعمة الله وبره على حياة الانسان كلها جهاد لا يدخل فى دائرة الخلاص المسيحى ٠٠

وفى هذا يقول القديس ثيوفان الناسك :

« ان عدم توقع أى صلاح من أنفسنا وعدم الاتكال على ذواتنا شىء تعمله النعمة فينا ٠٠ الا أنه علينا من جانبنا أن نبذل كل الجهد ونفعل كل ما بوسعنا كى نصل الى هذا الاستعداد ٠ تحقق أنك لا شىء وضع فى ذهنك دائما أنك لا تستطيع من نفسك أن تصنع

أى صلاح يستحق ملكوت السموات وأن أساس كل فضيلة هو معرفة الانسان ضعفه .. أطلب معونة الله باستمرار بصلوات حارة مرتفعة لأن معرفة الانسان ضعفه هى نعمة من الله.. وعود نفسك أن تكون حذرا وخائفا من أعدائك العديدين ، واذا سقطت فى تعد ما ارجع بسرعة الى معرفة ضعفك وكن على حذر منه لأن الله لايسمح بسقوطك كى يجعلك أكثر حرصا ضدضعفك» (١٦).

والرب يسوع بنفسه قال لنا « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا » .

والرسول بولس عندما أحس بضعفه عزاه الرب بقوله «تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » .

وهكذا يلزم أن تكون محاربتنا الروحية مستمرة وبلا توقف ومدعمة باليقظة وشجاعة النفس، وهذه يمكن الوصول اليهابسهولة ان طلبها الانسان من نعمة الله ..

والمسيح هو الألف والياء ، البداية والنهاية فى حياة الانسان المؤمن ..

+ فهو يبدأ جهاده بالمسيح ..

+ وهو يستمر فى جهاده مع المسيح ..

+ وهو ينتهى فى جهاده الى المسيح ..

- وفى البداية يلزم أن تكون التوبة صادقة والنية خالصة والعزم أكيد على رفض العالم وشهواته وابتغاء وجه الله وحده ..
- وفى المسير يلزم الحرص والسهر على طلب المعونة الالهية كل حين قائلا « اللهم التفت الى معونتى يا رب أسرع وأعنى » ..
- وفى الهدف النهائى يلزم أن يكون المسيح وحده هو الجعالة العظمى لجهاد كل مؤمن ..

نستطيع أن نقسم هذه المجالات الى :

- **الأوجاع الجسدية الحسية ..**
- **الأوجاع النفسية والعاطفية ..**
- **الأوجاع الفكرية والمعرفية ..**
- **أوجاع الارادة والذات ..**

وبالرغم من أن هذه كلها متداخلة بعضها ببعض الا أن كل مجال له حروبه الخاصه وأسلحته الخاصة أيضا ..

+ الأوجاع الجسدية الحسيه : -

هذه الأوجاع هى أقدم وأعمق أوجاع الانسان .

ويلزمنا بادىء ذى بدء أن نعرف المقصود بالشهوة هنا أنها الانحراف عن المجرى الطبيعى المخصص لكل دافع من الدوافع الفيزيولوجيه فعلى سبيل المثال نجد أن الله وضع فى الانسان شهية للأكل وبدونها نموت الجسد ولكن هذه الشهية اذا صارت غاية فى حد ذاتها ولم تعد وسيلة لقوت الجسد وقيامه بالمهام المطلوبة منه أصبحت شهوة رديئة .

واننا نقرأ فى الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين عن الانحرافات الجنسية والشذوذ المريع الذى وصلت اليه الشهوات الحسيه .
(تك ١٩ : ٤)

ونقرأ عن شهوة البطن وكيف أن أكلة عدس تكون معضلة عند واحد عى البكورية التى احتقرها .

ونقرأ عن المرأة التى رفعت عينها الى شاب عفيف وألحت عليه أن يضطجع معها ولما فشلت فى هذا سجنته ..

وسفر الخروج يحدثنا عن الشعب الذى جلس للأكل والشرب ثم قاموا للعب (خر ٣٢ : ٦) . وفى يوم واحد سقط من شعب الله أربع وعشرين ألفا فى الوبأ بسبب خطية الزنا .
(عدد ٢٥ : ٩)

وما حدث لهذا الشعب من انحدار فى هاوية الزنا وبالوعة شهوة الأطعمة (عدد ١١ : ٥) انما هذه كلها دلالات على خطورة الأوجاع الجسيمة عند الانسان الطبيعى .. لأجل هذا ينصحنا الرسول بطرس بقوله « أيها الأحباء أطلب اليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » (١ بط ٢ : ١١) .

ويقول القديس فليكسينوس ان ألم شره البطن اردأ جميع الشرور لأنه يحط بالبشر فيساويهم بالحيوان لأنه يبعد عنهم المعرفة والتعقل اللتان تليقان بالناطقين .. ان ثقل الأكل يؤدى الى ظلامة الضمير ولذلك فهو باب جميع الشرور ومبطل الفضيلة ومعوق البر كله .. ومن الشره تنفرع كل الآلام الشهوانية ويظلم الضمير عن الهذيذ وذكر الله ويقتم الذهن من تذكار المسيح ان ثقل الأطعمة تقهر الأعضاء بالشهوات .. وشهوة البطن ضد شهوة الروح فلا يمكن حضور الواحده مع الأخرى . شهوة الروح هى مدخل جميع الفضائل وشهوة الجسد هى مدخل لجميع الشرور (١٧) .

ان حواء حينما أكلت من ثمرة الشجرة لم تأت بالموت نتيجة للثمرة ذاتها ولكن شهوة الثمرة هى التى ولدت الموت ، فأصل الموت هو الشهوة (١٨) .

واذا كانت الخطية الأولى قد مورست من خلال الأكل ، فان الرب يسوع له المجد جاء ليسقط سطوة هذه الشهوة عندما جاع فى البرية وانتصر فى تجربة الخبز ، واذا كان الفم قد صار منفذا للمعصية والسقوط فان الرب استخدمه كوسيلة للخلاص والحياة الأبدية عندما صنع العشاء السرى ليلة آلامه العظيمه وأخذ خبزا وبارك

وكسر وأعطى التلاميذ قائلا : **خذو كلوا** هذا هو جسدى (مت ٢٦ : ٢٦) .. وصارت شهوة الأكل التى تسقط الانسان فى نهم البطن ونهم الحنجرة ، وفى الزنا وفى أوجاع كثيرة صارت فى المسيح يسوع شهوة سماوية عندما رفعها الرب يسوع عن المستوى الحسى فلم تعد شهوة تناول أطعمه تمضى الى الجوف ومن الجوف الى المخرج وانما شهوة تناول خبز الحياة .. الخبز الحى الذى نزل من السماء ، الذى كل من يأكل منه يحيا الى الأبد .. وهذا هو الوعد من الرب أن من يأكل جسده ويشرب دمه له حياة أبديه وهو يقيمه فى اليوم الأخير (يو ٦ : ٥٤) .

وهكذا من خلال تقديس أنسجة الجسد ودمويته وتطعيمه وتدعيمه فى الشركة مع جسد ابن الله ودمه تتلاشى أوجاع الجسد الخطيرة كالزنا ونهم البطن ..

وكلما امتلأ القلب من محبة الله كلما كانت الأطعمة كلها أمامه طاهرة وصار حرا من شهوة النهم وشهوة الحنجرة وأستطاع أن يأكل لا بشهوة العبيد بل كأبن حر يعيش فى بيت أبيه ..

وفى هذا يقول القديس فيلكسينوس « وأعلم ان شهوة الجسد لا يمكن أن تيقظ فيك ما دامت شهوة الروح مضطرمة فيك . انما تظل منتظرة اطفاء شهوة الروح حتى اذا نظرت اهمالا قليلا ورأت أنه ليس للانسان ذوق الحس الالهى فانها تستيقظ سريعا » .

ففى التحرر من خطية الزنا يقول الرسول بولس « ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانيه !! » ..

وفى التحرر من العبودية للطعام يقول « من يأكل فللرب يأكل ومن لا يأكل فللرب لا يأكل .. لا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب » (كو ٢ : ١٦) .

فالنعمة تعطى للمؤمن سموا ورفعة وقوه تغلب الشراهة وألم الزنا وأوجاع الحواس .. انها تهب عفة للحواس وضبطا داخليا وتدبيرا حسنا لاستعمال ما فى الجسد من أجهزة ..

ولكن ليس معنى هذا أن المؤمن يتراخى ويهمل جهاده ضد الأهواء الجسيمه .. فالقديس ثيوفان الناسك يقول : مهما اقتنعت أنك الآن متحرر من هجمات الجسد ، ومهما تأكدت هذا فى نفسك فاحرص كل الحرص أن تحفظ عقلك وانتباهك بعيدا عن الأمور والأشخاص الذين كانوا سببا فى اثارة التجربة (١٩) .

وينقل الينا كلام الحكيم ابن سيراخ «لا تصدق عدوك» (س ١٢ : ١٠) لا تثق فى جسدك لأنه كما أن الحديد يصدأ من ذاته هكذا طبيعة الجسد الفاسدة تنتج اثارات شريرة للشهوة لأنه كما أن الحديد يصدأ هكذا يكون خبث الجسد (س ١٢ : ١٠) وأعلم أنه بمقدار ما يتظاهر الجسد بأنه صديقك ولا يعطى أى علامة تشكك بقدر عظم الضرر الذى يعكسه فيما بعد وغالبا ما يضرب ضربته القاضية ..

اهرب من النار لأنك بارود ولا تجرؤ أن تفكر فى خيالك بأنك بارود رطب مبلل بمياه الارادة الصالحة الحازمة . لا . أفضل لك أن تفكر أنك جاف كالجفاف وسوف تشتعل بالنار بمجرد ملامستك اللهب .. لا تعتمد على ثبات عزمك واستعدادك للموت (٢٠) .

ويقدم لنا القصائح القيمة فى مقاومة الارادة الحسيه البهيميه .

(١) لا تسمح لارادتك الخاصة أن تميل الى الحسيات قيد أنمله .

(٢) اسرع بأن تضرم فيه اشتياقا متزايدا عن كل القلب لهذه الضغطات .

(٣) لا تنسى أن تستغيث بربنا يسوع المسيح معيننا فى جهادنا سائلا مساعدته وحمايته .

(٤) اعمل عملا ايجابيا مضادا للازادة الخمسيه (٢١) ٠

ويحكى عن القديس يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية انه طيلة مدة اقامته فى البطريركية كان غذاؤه ماء الشعير والدشيشه يوميا ، كما كان يأخذ طعامه بوزن ومقدار ٠٠ وهذا ما جعله أن ينسى المشهوة (٢٢) ٠

وينصحنا القديس أنبا يوحنا القصير بقوله (اذا أراد ملك أن يأخذ مدينة ملك آخر فانه يحاصره أولا حتى لا يجد سبيلا لجلب الطعام أو الشراب وبذلك يذل ويخضع راغما ٠ وهكذا أهواء الجسد اذا ضيق عليها انسان بالجوع والعطش فانها تذل وتتغلب عليها الميول الصالحة) ٠

والحكيم ينصحنا بقوله « مثل الشره فى الطعام كمثل النار التى لا تتسع مهما زودتها وقودا ٠٠ كثيرون هلكوا من الشره أما القنوع فيزداد حياه) (س ٣٧ : ٣٢) ويقول معلمنا بولس « ان أكلنا لا نزيد وان لم نأكل لا ننقص » (١ كو ٨ : ٨)

بهذا الحرص عاش آباؤنا القديسون ولم يتهاونوا فى الوقوف ضد الأهواء الخمسة واستخدموا فضيلة الصوم كمدخل رئيسى للجهاد ضد الأوجاع الخمسه واستخدموا فضيلة الصمت كضرورة لمقاومة الثرثرة والمجد الباطل فى الكلام ٠٠ واستخدموا العفة والطهارة وضبط الحواس لمقاومة أى انحراف فى الغريزة الجنسية ٠٠

على أن الجهاد ضد الأوجاع الخمسه لم ينحرف بآبائنا القديسين الى التطرف واضعاف الهيكل الجسدى وايقاعه تحت الأمراض ــ وهذا ما سنعالجه فى فصل تال ــ ولكن الآباء عرفوا أن الجسد جسد ، وهو يخضع لناموس هذا العالم وأنه بحاجة الى حياة جسدية وهذا طبيعى وليس خطيئة وأن العفة هى عفة الروح والقلب وحفظ نقاوة الداخل ، وأن الجسد يتبع الروح ويطيعها ان هى قادته ولم تتركه

يستعبد للأهواء والنزوات والانحرافات .. يكفي للجسد ألا نعطيه عادات سيئة وهو يطيع في صبر توجيهات الروح .. وهنا نلمس المعنى الايجابي للنسك المسيحي .

وفي هذا المجال يطوب الرب يسوع في موعظته على الجبل أولئك الذين غلبوا الأوجاع الحسية واقتنوا العفة ونقاوة القلب والبر الروحية لحياة البر بقوله :

- **طوبى للجياع والعطاش الى البر لأنهم يشبعون .**
- **طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله .**

+ الأوجاع النفسية والعاطفية :

يقول القديس فليكسينوس هناك آلام نفسانيه ، وهناك آلام جسدانية ، النفسانيه ناشئة من النفس ، والجسدانية نابعة من الجسد .. والآلام الجسدانية تساعد بعضها البعض ، فشهوة البطن تساعد الزنا ، ومحبة الفضة واقفة في الوسط ، ففي بعض الأوقات تساعد شهوة الجسد، وفي وقت آخر تعاضد آلام النفس ، فهي تقود الى الرياء ومحبة الرئاسة والمجد الباطل والمديح والحسد وما يشبه ذلك من الآلام النفسانية .. وكما أن الصلاح يساعد الصلاح كذلك أيضا الشر يساعد الشر وينشىء في كل حين اغراءات الشهوة التي تنجس أفكار النفس وتظلم افرازها (٢٣) .

وهكذا يوضح لنا هذا القديس أن هناك أوجاعا نفسانيه تحتاج الى قتال وهذه هي : الرياء والنفاق ـ محبة الرئاسة والمجد الباطل والكبرياء ـ الحسد والحقد ـ الخبث والذمة ـ الطمع ، الأنانية والطعن في الآخرين أو احتقارهم ..

وهذه الأوجاع توضح أن النفس ان لم تحيا في النقاوة والبساطة فانها تتعرض لهذه الأمراض الكفيلة أن تنزع عنها طهارتها وشفافيتها .

ومنذ سقوط آدم والأوجاع النفسية تلازم الانسان الطبيعي . ففي العائلة الأولى بدأ الوجع الأول كثمرة للعصيان عندما كشف الرب عن العلاقات العاطفية والنفسية التي تنشأ بين الرجل والمرأة في ظل العصيان فالرجل يحاربه التسلط والمرأة تحاربها الشهوة « الى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » (تك ٣ : ١٦)..

وأثمرت الخطية قتلا ، فقد قام قايين على أخيه هابيل وقتله ، لأنه اغتاظ جدا اذ نظر الله الى قربان هابيل والى قربانه لم ينظر . (تك ٤ : ٥)

ونفس هـذا الحقد نجده في قلوب اخوة يوسف أولاد يعقوب وهو بعينه الذي ملأ قلب مريم أخت موسى ، وشاول الملك مع داود ، وهامان ازاء مردخاي ، ولا يزال يملأ قلوب الكثيرين الذين لم تتطهر نفسياتهم بدم المسيح وحبه وعمل نعمته ..

ومن أخطر الأوجاع النفسية : الرياء والخبث الذي حذرنا الرب يسوع منه عندما قال « احترزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين » (مت ١٦ : ١١) .. ووجع الرياء والنفاق من أخطر الأوجاع النفسية لأن النفس تختبىء متحصنة ضد الحق باغلفة وأغطية دينية . والذي يتأمل في الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل معلمنا متى يدرك خطورة الرياء والنفـاق والخبث الذي يسـتتر وراء الدين والمذبح والهيكل ..

والرسول بولس يحكم على أهل كنيسة كورنثوس أنهم جسديون في قوله « فانه اذ فيكم حسد وخصـام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر » (١ كو ٣ : ٣) .

فلأن هذه الكنيسة دخلها روح الانقسام .. البعض منها لبولس والبعض لأبولس ، يتعذر عليها النمو الروحي . ويظلون أطفـالا يحتاجون الى اللبن ويخاطبهم الرسول كجسديين وليس كروحيين.

والرسول بطرس يحذرنا من سقوط الايمان بهذه الأوجاع والأهواء في قوله (اطرحوا عنكم كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به) [١ بط ٢ : ١] .

ومن أبرز الأوجاع النفسية الطموح الزائد والطمع والرغبة الشديدة في الصيت الزائع والسمعة العظيمة والكراهة واحتلال المتكئات الأولى .. ان صوره آخاب الملك وايزابيل زوجته التي لم يقطعها عند حد بل امتد الى الاستيلاء على بستان نابوت اليزرعيلي المسكين واغتالته حتى ترضى شهواتها النفسية الغير مشبعه لتقدم لنا نموذجا بشعا لطمع النفس البشرية . ولقد تعرض الرب يسوع الى هذه التجربةعندما أراه الشيطان جميع ممالك العالم ومجدهاوقال له أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لي حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لانه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد. (مت ٦ : ١٨-١٩)

واذا كانت الكبرياء والدونية (صغر النفس) هما جماع الآلام التي تتعرض لها النفس البشرية فان الاتضاع والمحبة وأعمالالرحمة هي الفضائل التي تحمي النفس في مسيرها الروحي وجهادها المستمر .

وفي هذا يطوب الرب يسوع في العظة على الجبل أولئك الذين غلبوا أوجاع النفس بقوله :

- **طوبى للمودعا، لأنهم يرثون الأرض .**
- **طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون .**
- **طوبى للرحما، لأنهم يرحمون .**

* * *

+ **الأوجاع الفكرية والمعرفية :**

منذ بداية العائلة الأولى وخطيئة التمرد الفكرى هى الجذر العميق للعصيان والابتعاد عن الله .. والجموح الجسدى والانحراف النفسى انما هما صوره للجموح الفكرى .. فلقد أراد آدم وأرادت حواء أن يكون لهم الفكر المستقل عن الله وهذا هو التألة وهذه هى الخطيئة فى حد ذاتها ..

ولقد بدأ التعالى الفكرى عند أصحاب برج بابل يوم أن قالوا « هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا **رأسه بالسماء** ونصنع لأنفسنا **اسما** لئلا نبدد على وجه كل الأرض » (تك ١١ : ٤) .

ولقد كان هذا التشامخ والتعالى والتمرد الذهنى مدعاة أن ينزل الله من السماء ويبلبل أذهانهم ويفرقهم ألسنة ولغات متباينة .

ولقد ظل الانسان معتزا بفكره الشخصى المستقل حتى جاء الرب يسوع وأعطى مثالا لاخضاع الفكر لمشيئة الله مع أن مشيئته ومشيئة الآب واحد .. ووضع الصليب عثرة للذين يريدون حكمة أو آية .. وطالب كل من يريد أن يأتى وراءه أن ينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعه « مت ١٦ : ٢٤ » .

والرسول بولس الذى كان معتزا بعقليته وتراثه اليهودى الفريسى لما تقابل مع الرب يسوع وعاش فى المسيح يسوع ألقى بكل ما على رأسه من تيجان فكريه ، وحسب كل شىء نفايه لأجل معرفة الرب يسوع ، وفضل جهاله الله عن حكمة الناس وأما حكمة هذا العالم فهى فى نظره جهالة عند الله (١ كو ٣ : ١٩) وجال يخدم لا بحكمة بشرية وانما بيسوع وإياه مصلوبا ولكنه كان له حكمة .. حكمة ليست من هذا الدهر . الحكمة المكتومه التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا (١ كو ٢ : ٦ــ٨)

وعلى ذلك فانه ليس من وسيلة لغلبة الأوجاع الفكريه من جهة

التعالى الفكرى والتشامخ والتمرد ومرض المعرفة الزائدة ومرض الجهالة ووجع الثرثرة وليس من وسيلة لغلبة العالم الذى هو التشتت الفكرى سوى اخضاع الفكر للمسيح : « أما نحن فلنا فكر المسيح ، هادمين ظنونا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر الى طاعة المسيح » (٢ كو ١٠ : ٥)

ويقول القديس ثيوفان الناسك « كما أنه من الضرورى حماية الفكر من الجهل هكذا أيضا من الضرورى حمايته بنفس المقدار من العكس ، أعنى المعرفة الزائدة عن الحاجة وحب الاستطلاع . لأننا ان حشونا الذهن بالمعلومات والآراء والافكار التى لا تخرج عن كونها باطله وغير مناسبة وضارة فنحن نشتت قوته حتى أنه لا يقدر أن يفهم فيما بعد ما هو مفيد لأجل تقويم الذات ولأجل الكمال » ..

اجمع عقلك دائما الى داخل نفسك بكل تركيز ممكن وأحفظه حرا من التفكر فى الأمور العالميه .. استمع الى ما يقوله القديس باسيليوس «ليكن الاستماع الى الأخبار العالمية كطعام الحنظل بالنسبة لك ، ولتكن كلمات القديسين كالاقراص المتلئة شهدا » .. أيضا لكلمات داود « تكلم معى مخالفو الناموس بكلام هذيان ولكن ليس كناموسك يا رب » (مز ١١٨ : ٨٥) .

أمل بسمعك فقط الى الأمور السمائية الروحانية وادرس فيها ولا تشتهى أن تعرف شيئا فى عالمنا سوى يسوع المسيح واياه مصلوبا (١ كو ٢ : ٢) .

لذلك لا تتوانى فى استئصال داء كبرياء الذهن الوبيل ، قبل أن ينفذ الى نخاع عظامك . قاومه وبسرعة الجم عقلك ، واخضع رأيك لآراء الآخرين باتضاع ، وكن جاهلا من أجل الله كى تكون حكيما أكثر من سليمان « ان كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلا لكى يصير حكيما » (١كو ٣ : ١٨) (٢٤) .

+ **أوجاع الاراده والذات :**

تجمع أوجاع الحواس وأوجاع الانفعالات والعواطف وأوجاع الأفكار في أوجاع الاراده والمشيئة التى نعبر عنها بالذات المنفصله عن الله ..

ومنذ القديم ورغبة الانسان الشريره تتركز في استقلال الاراده والمشيئة .. وليس من شيء تقاومه طبيعتنا القديمة مثلما مقاومة طاعتنا لارادة الله - فهى تبذل كل ما بوسعها لتخالف وتتجنب طاعة الايمان ..

وفى مسيرة شعب الله فى البريـة نجد أن جميـع الذين عبروا البحر بمعجزة ، وأكلوا المن بمعجزة ، وشربوا من الصخرة بمعجزة ، لم يدخلوا أرض الموعد فيما عـدا يشوع وكالب لأنهم تمردوا على الرب .. لأجل هذا ألقى الرب جثثهم فى القفر (عدد ١٤ : ٩-٢٩) وعندما قدم شاول الذبيحة غير خاضع لمشيئة الله وهى لا تقدم الا على يد الكاهن والنبى .. علمه صموئيل النبى بقوله « هوذا الاستماع عند الله أفضل من الذبيحة والاصغاء أفضل من شحم الكباش .. **لأن التمرد كخطيه العرافه والعناد كالوثن والترافيم .. لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك** (١ صم ١٥ : ٢٢) وأما الذين أخضعوا مشيئتهم لمشيئة الله فهؤلاء هم أبناء الله تذكر نوحا الذى كرر الكتاب عنه القول « وفعل نوح حسب كل ما أمر به الله » (تك ٦ : ٢٢ ٧ : ٥) وتذكر ابراهيم الذى قال عنه الكتاب «من أجل انك سمعت لقولى أباركك وبتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض» (تك ٢٢:١٨)

وقد تعرض الرب يسـوع لتجربة تمرد المشـيئة عندما قال له الشيطان ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك كى لاتصدم بحجر رجلك. قال له يسوع « مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك » .
(مت ٤ : ٧)

وهكذا رفض الرب يسوع من الشيطان العرض الذى يجعل يصنع شيئاأو عملا لم يأخذه من الآب السماوى . وقد أخضع الرب يسوعمشيئته بالتمام لمشيئة الآب ليعلمنا أنه يصير لنا دخول بسعة الى ملكوت الله عندما تتحد مشيئتنا بمشيئة الرب يسوع ..

وفى هذا يقول القديس ثيوفان الناسك « يلزم تدريب الارادة ضد الأهواء الشخصية . انه لا يكفى مجرد أن ترغب وتطلب أن ترضى الله دائما ، وفى كل شىء ، بل ينبغى أن تكون رغباتك كما لو كانت متحركة من الله ذاته ، لأجل هدف واحد هو أن ترضيه بقلب نقى ! ولكى تدرب أنفسنا على السير دائما نحو هذا الهدف علينا أن نتحمل جهادا أعظم ضد طبيعتنا أكثر من أى شىء لأن طبيعتنا قد تعودت ارضاء نفسها لدرجة أنها تطلب راحتها ولذتها فى كل أعمالها حتى ولو كانت أعمالا روحانيه وصالحه جدا ، وهى تتغذى عليها سرا لصالح شهواتها ، كما لو كانت طعاما نريد أن نقتات به والرسول يعلمنا أن نختبر مشيئة الله ليس من حيث صلاحيا فقط بل أيضا من جهة ما اذا كانت مرضيه عنده وكاملة من جميع النواحى .. فعلينا أن نضع فى قلوبنا بثبات أننا نمارس جميع الأعمال ارضاء لله فقط ، وهذا ليس فى البداية فقط بل علينا أن نراجع أنفسنا بين الحين والحين . لنحذر من نوايا ارادتنا لئلا تميل الى النفع الذاتى (٢٥) ..

واذا كان طريق الخطيئة الأصلية والموت هو تمرد المشيئة وعصيان الارادة واذاكانت لا تزال الخطيئة طريق تمرد وعدم طاعة فيمكن القول باختصار أن طريق القداسة والحياة هى الطاعة .. فالطاعة بالنتيجة هى العودة الى طريق الله ، الى نظام الله وحياته الذى كان رغبته اثبات أنفسنا فيما قد أخرجنا منه . لايمكن أن نتصور حياة مسيحية حقه بدون الطاعة . وطريق الطاعه هو طريق التمجيد البنوى .. تمجيد الابن للآب والآب للابن . من يطيع هو كالابن الوحيد للآب ولتصير علاقته بالآب كعلاقة الابن الوحيد (٢٦).

واذا كان الانسان يريد ضمانا لخلاصه فليتبع هذه الآية « أنه صار للذين يطيعونه سبب خلاص أبدى » .

ولنذكر قول القديس باسيليوس الكبير .

« درب جسدك على طاعة نفسك ودرب نفسك على طاعة الله » .

وأما القديس باخوميوس فيصحنا بقوله :

« اسمع يا ولدى وكن أديبا وأقبل التعليم . أحب الذى يؤدبك يخوف الله وكن مطيعا مثل اسحق الذى يسمع لأبيه ويطيعه كخروف ساذج القلب » .

واذا كانت مجالات حروب الجسد هى **الشهوة الجسدية والطمع والتمرد** ، فان الفضائل الثلاث التى يحرص المؤمن على اقتنائها للنصرة فى هذه الحروب هى **العفة والفقر الاختيارى والطاعة** .

+ ◆ + ◆ +

الموضوع الثالث :

تدبير الجسد

- مفهوم النسك مسيحيا
- تدبير الأكل
- تدبير العمل والراحة
- تدبير الملبس والزينة والنظافة والهندام
- تدبير الكلام والمقابلات
- تدبير الحواس وخاصة النظر
- تدبير الدافع الجنسي قبل الزواج وبعده

مفهوم النسك مسيحياً

تطلب الكنيسة فى تحليل صلاة باكر قائلة « اجعلنا يا سيدنا أن نكون بنى النور وبنى النهار لكى نجوز هذا اليوم ببر وطهارة **وتدبير حسن** لنكمل بقية أيام حياتنا بلا عثرة » .

والتدبير الحسن له شقان : تدبير روحى ، وتدبير جسدى .. ونعالج فى هذا الفصل التدبير الجسدى ، ونقصد به حسن العناية بالجسد من حيث الأكل والملبس والنوم والراحة والعمل والنظافة والهندام والتطلع للآخرين ومجادثة الناس ومقابلاتهم ..

وهذا التدبير له أهمية كبيرة بالنسبة لحياة الانسان عامة كما أن له أعمق الأثر على التدبير الروحى بصفة خاصة .

وقد علمنا الآباء أن طالب الرهبنة عندما يدخل حديثا الى الدير يتسلم من مرشده الروحى وأب اعترافه التدبير الجسدى أولا وقبل التدبير الروحى .. فيتعلم ويستلم كيف ومتى يأكل ، وكيف يلبس ، وكيف ينظف ثلاثيته وحسده ، ودوره فى خدمة المجمع (أكل الرهبان) وكيف يحافظ على نظافته العامة وصحته وخلوه من الأمراض ..

والملاحظ دائما أن الانسان المسيحى ذا التدبير الجسدى الحسن انما هو انسان ذو تدبير روحى حسن أيضا .. فالذى يعرف أن ينظم حياته المادية يستطيع أن ينظم صلواته وعبادته وتأملاته ، والذى يقدر أن يتصرف حسنا فيما يتعلق بالأكل والنوم والصحة يمكنه أن يتصرف حسنا فى التلذذ بكلمة الله والسير الروحى .. ولاعجب

فى هذا فالانسان وحدة متكاملة ويؤثر كل عامل من عوامل الشخصية فى الجوانب الأخرى تأثيرا كبيرا وكثيرا ما يكون سوء التدبير الجسدى عند الانسان معطلا خطيرا من معطلات الحياة الروحية .. ذلك لأن ضعف الصحة وكثرة الاصابة بالأمراض وهزال الجسم وهبوطه وعدم النظام فى تناول وجبات الطعام وسوء الهضم والتغذيه والنظافه أمور تؤثر تأثيرات عميقة على صحة الانسان النفسيه وعلى قدرته فى الوقوف للصلاة وضرب المطانيات وأداء كافة الواجبات الروحية .

وقد علمنا الرب أن الجسد يلزمه التدبير الحسن عندما خلقه وأبدعه بتدبير حسن جدا .. فالذى يتأمل فى الدقة البالغة التى تحكم افرازات الهرمونات فى جسم الانسان ، وما يصيبه من أمراض خطيرة اذا اختل هذا التوازن العجيب وهذا الضبط المدهش المحكم ، ليدرك أن ما يحدث فى داخل الانسان يلزمه أيضا ما يشابهه فى خارجه من تدبير حسن أيضا .

والذى يتأمل فى تعاون الأعضاء من أداء وظائفها فى انسجام تام يدرك أيضا أهمية العلاقة بين الأكل والملبس والنظافة والنوم والراحة والعمل والاجتهاد والصحة العامة فى حياة الانسان على وجه العموم وفى حياته الروحيه الباطنيه بصفة خاصة .

أبعاد النسك فى التدبير الجسدى

لا يهدف النسك المسيحى (والمقصود بالنسك هنا الصوم والتعفف والتقشف والسجود والصمت والاعتكاف والصلوات الطويلة ...) لا يهدف الى ملاشاة الجسم وانما يهدف الى اعطاء الروح (البنفما) مكان القيادة فى الشخصية حتى تصير أعمال الانسان الجسديه ذات طابع روحانى ..

وقد أورد لنا كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية الخطوط العامة

التي يلزم التحرك في اطارها عندما قال اننا لا ينبغي أن ننظر الى وسائل التقشف أو أعمال النسك كهدف أو غايه نفرح ونسر بتتميمها ، فتلهينا عن متابعة السير نحو الله للاتصال به بالحب الكامل .. وأن أنواع النسك لا تخرج عن كونها وسائل نميت بها الانسان العتيق ونصلب بها ارادتنا مع أهوائنا وشهواتنا التي تعمل فينا للخطية ، ونظهر بها عواطفنا وحبنا لله .

وانه لا يستطيع قسى أنواع النسك أن تغفر لنا خطية واحدة أو تكفر عن ذنب بسيط أقترفناه اذا كانت خاليه من الحب نحو الله .

وأنه يجب أن لا ننحرف بهذا النسك ونقسو على أجسادنا الى الدرجة التي فيها نعاق عن تأدية واجبات الحياة بنشاط وأن التركيز كله ينبغي أن يكون داخليا موجها الى الارادة التي تسوقنا الى الشهوة والخطية ، وأن النسك لا يجب أن يكون أنواعا من الضغط والكبت الجسدي الذي عندما يزول مؤثره يكون له رد فعل أقوى ، فيعود الانسان الى حالته الأولى أكثر انحلالا .. وأن حدوده يجب أن توضع بترتيب وأرشاد أب حكيم حتى لا تتجاوز حدود استطاعة الانسان فتنعدم الثمرة المرجوة منها بل يجب أن نبتدىء بسيطة أقل من استطاعة الانسان ثم تنمو وتزداد طبيعيا الى أن تتحول الى صفات طبيعية ـ للشخص وتدخل كجزء هام في أسلوب حياته (٢٦) .

ونذكر عن القديس العظيم الأنبا انطونيوس أنه خرج بعد اعتكافه مدة عشرين عاما في مغارته ، ووجد معتدلا تماما في الجسد كما بدأ جهاده .. لم يوجد بدينا مترهلا من الكسل والتراخي ، ولا هزيلا من شدة النسك وعدم الاستناره في الجهاد ..

وهذه الاستنارة التي تقود الانسان في تدبيره الروحي والجسدي تعتبر من أعظم الفضائل الروحيه التي يهبها الروح القدس للمؤمن على حد تعبير القديس العظيم أنبا انطونيوس ..

وقد يحتاج المؤمن والراهب فى بداية الأمر الى ارشاد من مرشد نصوح ، ولكن الانسان بعد ما يتسلم المنهج ويتعرف على أبعاده تتأصل فيه العادات والاتجاهات السليمة التى تجعله يمارس نسكه وعبادته دون افراط أو تفريط فى اعتدال قائم على ارشاد مستمر من الروح القدس الساكن فى حياه الانسان الداخليه ..

وقد شرحنا فى الفصلين السابقين المعنى الأول والثانى لكلمة الجسد .. فعندما يقول الرسول بولس « أقمع جسدى وأستعبده» (١ كو ٩ : ٢٧) صار واضحا عندنا الآن أنه يقمع الشهوة المنحرفة ويستعبد الانسان العتيق الفاسد ولكنه لا يقصد أن يحطم الهيكل والاناء الذى يسكن فيه الروح القدس والذى شاء الله أن يعطيه المجد والتجلى فى مجيئه الثانى الآتى .

والذى أدخل الى التصوف المسيحى مفهوم النسك الخاطىء القائم على منهج الثنائية بين الجسد والروح هى العقيدة الافلاطونية التى تسربت الى المسيحية وكانت تنادى بأن العالم المادى ليس من أعمال الله وأن كل ما هو مادى انما هو حقير ، ولكن كل ما هو مجرد فهو راقى .. هذا الاتجاه لا يوافق مقاصد الله من الانسان ولكن الأفلاطونية ألقت بظلها على بعض المناهج النسكية المتعمقة ، ونظرت الى الانسان على أنه عقل محبوس فى جسم مادى يتطلع الى التحرر منه وأن الجسد مقبرة للروح ..

ولكن الثالوث الأقدس عندما خلق الانسان خلقه جسما ونفسا معا ، وحين نزل الله الكلمة الابن الأزلى الى أرضنا ليفتدى الانسان لم يأخذ نفسا فقط بل أخذ جسدا أيضا لأنه شاء أن يفتدى الانسان بأكمله جسما ونفسا .

والكتاب المقدس دائما أبدا يرفض نظرية الثنائية تماما ويؤكد نظرية الوحدانية ـ وحدة السيكوفسيولوجى ـ وقد ألمحنا الى هذا فى بداية البحث ..

وقد حرم مجمع غنغرة المكاني في القرن الرابع كل الذين يريدون الزواج أو يحرضون على التعفف بسبب الخوف من الزواج لا بسبب جمال البتولية . وقوانين الرسل تحكم على الاكليروس والعلمانيين الذين يمتنعون عن الزواج وأكل اللحم وشرب الخمر **باعتبارها نجسة** وتسميهم مجدفين على عمل الخليقة ..

ولا يزعجنا ما نقرأه في بستان الرهبان من قصص عدقت الى تعذيب الهيكل الجسدي ، فهذه الخبرات انما هي شخصية أولا وقبل كل شيء ، كما يلزمنا أن نفهمها على أنها محاولات للوصول الى الاستنارة والمعرفة الكاملة للخسائر التي سببها الشر داخل النفس . فكان التقشف عند الآباء اذن هو ذلك الرداء الذي يلبسه الغطاس ليغوص الى الأعماق ويجوس خلال لجج مليئة بالمخاطر والأسماك المفترسة ..

* * *

ولكن يلزمنا أن نحترس من اتجاه مضاد بدأ ينتشر في هذه الأيام وهو النظرة المستخفة بالتنسك وعدم توقير أعمال التقشف والتنسك في منهج الحياة الروحانية . فالبعض يتصور أن التنسك والتقشف أمور تختص بالرهبان . ولكن القديس يوحنا ذهبي الفم يساوي الرهبان بالمتزوجين في التزام السير بالطريق الضيق والجهاد الروحي وصلب الذات وإماتة الأهواء والشهوات عندما يقول : «حينما يأمرنا السيد المسيح بالسير في الطريق الضيق فهو لا يوجه الحديث الى الرهبان فقط بل انه يوجهه الى جميع الناس ، وعلى هذا القياس يأمر العالم كله بأن يبغض حياته على هذه الأرض ، ومن هنا يتحتم على المتزوج كما على الراهب أن يصل الى نفس القمم » .

ويقول أيضا : « تخطئون تماما لو أنكم ظننتم أن هناك أمورا عطلوية من المتزوج وأخرى من الراهب .. استعملوا الزواج بعفة

وأنتم تسبقون غيركم الى ملكوت الله ، الحالة الزوجية كالرهبنة كلاهما شكلان للنعمة التى تطبق فى كل من الحالتين تبعا للمعيشة المختارة » ٠

وتطبق بعض الآباء العهود والنذور الرهبانية ، العفة والطاعة والفقر الاختيارى على الحياه الزوجية المسيحية ٠٠

فالعفة تحتم التفانى والاخلاص غير المنقسم لله ولنعمته ، والشخص يصبح زوجا أو زوجة على ألا يكون فى الحب الزوجى سوى الله ٠ ٠

وعهد الطاعة يتقرر بين المتزوجين عندما تعهدون الا ينقادوا الا لروح الله ولا يسيروا الا وفقا لانجيل ربنا يسوع المسيح ٠٠

وعهد الفقر والتجرد يتقرر عندما لا يرتكنوا الا على الله ولا يتكلوا على الغنى بل على الله وحده الذى يعولهم ٠٠

* * *

وقد شرح لنا الآباء أهمية النسك بالنسبة للجسد عندما قالوا أن النعمة تسرى فى الانسان على ثلاث موجات :

الاولى فى الصلاة والتأمل ٠٠الى غير ذلك من أنشطة قوية كيانها، وتتشرب أرواحنا هذه النعمة كأول عمل من أعمال النعمة ثم تسرى النعمة بعد ذلك الى ما نسميه المجال السيكولوجى ، الوعى واللاوعى٠ فتسرى النعمة فى طبائعنا وميولنا وحاجاتنا واهتماماتنا واتجاهاتنا النفسية وعواطفنا ٠٠٠ ومن هناك تمتد الى أبعد فتبلغ أجسادنا ٠ فنحن نستطيع أن نرى القديسين يحتفون عنا لا فى أرواحهم فحسب ولا فى نفسياتهم وحدها بل وفى أجسادهم أيضا ان الجسد ــ بالنسك المسيحى المستنير ــ يتروحن ويتهيأ الى الحياة الممجدة التى تنتظره عندما يقوم من بين الأموات ليقابل الرب على السحاب فى مجيئه الثانى المملوء مجدا ٠٠

ولنطبق هذا الاتجاه النسكي المسيحي على كل من الأكل والجنس والكلام والنظر وكافة الحواس والغريزة الجنسية في تركيز مكتفين بإيجاز ما يتعلق بالاتجاه السليم ازاء تدبير كل مجال من مجالات الأنشطة الجسدية المذكورة .

تدبير الأكل

ذكرنا سابقا في معالجة الأوجاع الجسدية والشهوات الجسدية الانحراف الذي يحدث في تدبير الأكل ويمكننا هنا أن نوجز أهم المبادىء التي تحكم هذا التدبير : —

١ — أن الأكل أمر الهي ولهذا لا يصح أن يخجل الانسان من أمر أعطاه الرب لأبوينا في الجنة .. والأكل كان مصحوبا بالمتعة لأن كل ما في الجنة كان ممتعا لأن الحياه فيها كانت خاضعة لوصايا الله . والانسان الذي يستمتع بالنعمة يستمتع بكل شيء في الكون وكل شيء طاهر للطاهرين وأما النجسين وغير المؤمنين فلمس شيء طاهرا بل قد تنجس ذهنهم أيضا وضميرهم .

(تيطس ١ : ١٥)

٢ — الذي يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله . والذي لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله .. لأننا ان عشنا فللرب نعيش وان متنا فللرب نموت فان عشنا وان متنا فللرب نحن

(رو ١٤ : ٧ و٨)

وعلى هذا فان ارتباط الشكر بعملية الأكل أمر هام للغاية ، وكلما تقدم لنا طعام وكنا في احتياج لتناوله وأقمنا صلاة عليه شاكرين نعمة الله التي وهبتنا اياه فان الصلاة بالروح تقدس الطعام وتحيله الى لقمة ممزوجة بالفرح والشكر والنسك .

« لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء اذا أخذ مع الشكر لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة » (١ تى ٤ : ٤ و٥) ٠

ويرتبط بالشكر طلب البركة على الطعام فقد تبارك بيت فوطيفار بسبب يوسف ، وازمة صرفة صيدا لم تفرغ عندها كوز الزيت ولم ينقص كوار الدقيق طيله المجاعة بسبب دخول ايليا لها (١ مل ١٧) واليشع أيضا لما صلى الى الله بارك الرب القليل من الزيت (٢ مل ٤) ، والسيد الرب أشبع خمسة آلاف من خمسة أرغفة وسمكتين ٠٠ ونحن أيضا أولاد الله كلما نطلب بركة الرب على موائدنا فان نعمة وبركة الهية تحل على الطعام وعلى المتناولين منه أيضا ٠ والذى بارك فى ذاك الزمان يبارك أيضا ٠٠

٣ ــ ليس فى الأكل شيء نجس وشيء طاهر ٠ فالمسيحية تجاوزت فكرة الحرام والحلال والنجس والطاهر فى اللحوم والأطعمة لأن هذه كانت ظلالا للحقيقة ، وكانت رمزا للنجاسة والطهارة السليمة ٠ والرب علمنا أن كل ما يدخل الفم لا ينجس الانسان ، ولكن الذى ينجسه هو ما يخرج منه ، كالشتيمة والبغضاء والحقد والكراهية لأن هذه كلها تخرج من القلب ٠٠

فالمسيحى متحرر من القيود التى كانت على اليهودى فى نظام الأطعمة ، وفى هذا يقول الرسول بولس « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل وشرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التى هى ظل الأمور العتيدة وأما الجسد فللمسيح » (كو ٢ : ١٦) ٠ وان كنا فى الصوم نمتنع عن بعض الأطعمة واللحوم فاننا نأكلها فى فترات أخرى فهى ليست نجسة وانما الهدف من الامتناع عنها اعطاء فرصة للروح أن تسيطر على شهوة الجسد ٠

٤ ــ وهناك مبدأ الاعتدال فى الطعام ٠ بمعنى أننا لا نصوم الى حد الهزال والانهيار خاصة اذا كنا نبذل مجهودا جسميا وعقليا ولا نترك للجسد العنان يأكل ويشرب ما يريد ، وكلما عود الانسان

جسده أن يأكل على مستوى الاحتياج فقط كلما كان آمنا من الأوجاع الجسدية .

والقديس يوحنا ذهبا (الشبيح الروحاني) ينصح الرهبان المتدينين بقوله « على الراهب أن يستعمل القوت لقوام الجسد لا لتنعيمه أو يأكل من جميع ما يتقدم له من الأطعمة بالنقص ، ولا يرذل شيئا ، ولا يملأ بطنه مما يختاره هواه ، لأن الاقتراز أفضل من كل الفضائل ... أيها الشره محب البطنة ، أخبرك أن تجعل في بطنك — لو كان هذا مستطاعا — جمر النار ولا أطيبة الرؤساء » (٢٧) .

٥ — أن المسيحي الحقيقي لا تسيطر على حياته لقمة العيش حقيقة انه يعمل ليأكل حسب الأمر الالهي ولكنه لا يعيش تحت هم لقمة العيش . انه يعلم قول الرب يسوع « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ولكن بكل كلمة تخرج من فم الله » بهذا نجده أمينا في عمله لأجل الطاعة للوصية ، ولكنه يعلم انه يأكل هو وأولاده من يد الله متذكرا أن الذي يعول غربان الوادي وعصافير السماء وليس زنابق الحقل أعظم مما تسليمان في مجده . وهو وحده الذي يعوله ويتكفل بمسئوليات حياته الجسدية والروحية أيضا ، لأجل هذا هو يطلب ملكوت الله وبره ، أما الأمور الجسدية من أكل وشرب هذه التي تطلبها الأمم فهي تزاد له « فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون **ولا تقلقوا** فان هذه كلها تطلبها أمم العالم . وأما أنتم فابوكم يعلم أنكم تحتاجون الى هذه . بل أطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم » (لو ١٢ : ٢٩ — ٣٠) . وهو حريص دائما أن ينحفظ من الطمع فانه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله . (لو ١٢ : ١٥)

٦ — ان المسيحي المؤمن محتاج الى أن يمتنع فترات معينة عن اللحم ومشتقاته — ليس لأنه نجس كما ذكرنا — ولكن لأن

هذا الاتجاه هو عود حميد الى عصر ما قبل الطوفان وترقب لعهد المسيا الذى تنبأ عنه أشعياء الذى يربض فيه الذئب مع الحمل ، ويزول الخوف والذعر من الدنيا (٢٨) ، فالصوم عوده الى حياة الفردوسية ، فيه نحقق الشكل الذى كان آدم عائشا فيه فى الفردوس أى شكل الحياة النباتية الشكل الذى يمسك الانسان فيه نفسه عن الحيوان ٠٠ ويذكر انطون جورج خضر فى مقال له عن الصوم أن المسيح جرد الصوم من فكرة الحزن والتحيب وقصاص الذات واحتفظ بالشكل الخارجى للصيام وأعطاه معنى داخليا ، أعطاه معنى آخر ذا مضمون جديد عبر عنه أنه ليس حزنا على فقدان العريس بل استدعاء للعريس والتماسا منا للعريس الالهى الذى يأتينا بالطبع دائما عن طريق الروح القدس ، فالصوم المسيحى لا ينطلق لا بتكفير ولا قصاص ولا تحيب وانما هو فى جوهره وسيلة لاستدعاء الروح وحنين الى الفردوس وانطلاق من قيامة المسيح وترقب لهذه القيامة ٠

وفى ايضاحه لجوهر الصوم أبرز أهمية المحبة والعطاء فى مضمون الصيام « أليس هو أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل البائسين المطرودين بيتك واذا رأيت العريان أن تكسوه وأن لا تتوارى عن لحمك ؟ (اشعياء ٥٨ : ٢ ـ ٧) فليست القصة اذا امتناعا عن أكل اللحم فقط ولكنها تقشف حتى نستطيع أن نعطى للفقراء والمحتاجين وكل من له عوز فالصوم فترة تطهر وتقرب الى الله لأن فى ذلك يكتشف الانسان الآخر ، أى كلما اقترب الانسان الى الله والى فكرة القيامة والى فكرة نصرة المسيح على الموت وكلما استدعى الروح القدس وجاءه الروح المعزى انطلق الى الآخرين وانفتح بالحب والعطاء لهم (٢٩) ٠

وعلى هذا فان من أهم معالم تدبير الأكل فى الحياة المسيحية أن نكسر اللقمة للآخرين وأن يكون من صميم تدبير أطعمتنا ما نقدمه

للكنيسة وللمحتاجين الأصاغر الذين أعطاهم الرب مركز أخوته ..

وفى الكتاب المقدس تطويب لمن يعطى المسكين ويكسر لقمته للجائع « تعالوا الى يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم لأنى جعت فأطعمتمونى ، عطشت فسقيتمونى ، كنت غريبا فآويتمونى ، عريانا فكسوتمونى ، مريضا فزرتمونى .. بما انكم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم » (مت٢٥:٣٤ـ٤٠)

تدبير العمل والراحة

المعنى المسيحى للعمل

« ان العمل البشرى فى المسيحية ، اشتراك فى عمل الله نفسه، فالرب يسوع علمنا قائلا فى انجيله « أبى يعمل حتى الآن وأنا أيضا أعمل » فالله اذا لايزال يعمل فى هذا الكون الذى به يحيا ويتحرك ويوجد والخليقة لا تزال مستمرة اذ أن الله لا ينقطع عن تدبير خلائقه وادارتها والعناية بها بموجب نواميسه الالهية الكلية الحكيمة .. ولكن الله خلق الانسان على صورته ومثاله شاء أن يكرم الانسان بهذا المقدار حتى أنه جعله مساهما معه فى عمل الخلق فطلب منه « أن يملأ الأرض ويتسلط عليها » وهذا لا يتم الا بالعمل اليدوى والعقلى .. (اشتغل آدم فى الفردوس وهذا عمل يدوى) وكان يدعو الحيوانات بأسمائها (وهذا عمل عقلى) . فكان الانسان بعمله يكمل عمل الخالق بتلك القدرة عينها التى وهبه الخالق اياها عندما جعله على صورته ومثاله .

ولكن هذا العمل الذى كان فى الأصل مصدر فرح قد أصبح بسبب سقوط الانسان فى الخطية وابتعاده عن خالقه مصدر شقاء ولعنة الأرض بسببك ، حسكا وشوكا تنبت لك ، بعرق جبينك

تأكل خبزك » ومن هنا نشأ هذا التعب المضنى الذى يرهق الأعصاب وينهك العضلات ويدخل السأم واليأس الى القلوب (٣٠) ٠

ما صنعه الرب يسوع فى مجال العمل والعمال

لقد كان العمل والجهاد شعار السيد المسيح : « ينبغى أن يعمل » (يو ٩ ٤) ٠ ان ابن الانسان لم يأت ليخدم بل ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين (مت ٢٠ : ٢٨)

ان الرب يسوع شاء أن يكون عاملا مثلنا حتى يكون خلاص العمال الوحيد ، كما أنه مخلص العالم الوحيد ٠٠

ان الرب يسوع تألم على الصليب ليغير معنى الألم جاعلا اياه أداة للتطهير والخلاص ٠ لذلك لم يعد ألم الشغل وتعبه المضنى ـ عند المسيحى المؤمن ـ عقابا ولعنة بل أصبحا اشتراكا فى صليب يسوع ووسيلة للعطاء ٠ فالذى يحتمل تعب شغله اليدوى أو العقلى بصبر ومحبة انما يشترك فى ذبيحة يسوع على الصليب ٠٠

لقد قام الرب مدة عشرين سنة أو أكثر بعمل النجارين فى مدينة الناصرة خاضعا ليوسف متعلما منه المهنة بالضبط كما يتعلم اخوتنا العمال الصغار مهنة النجارة أو الحياكة أو غير ذلك ٠٠ تصوروا العرق يتصبب من جبينه الالهى ، وتأملوا كيف رفع وقد قشت جلدة كفيهما من كثرة الاحتكاك المستمر بالأدوات ٠٠ تصوروا العرق يتصبب من جبينه الالهى ، وتأملوا كيف رفع يسوع شأن ذاك العمل اليدوى الذى كان الأقدمون يحتقرونه معتبرين أنه عمل يليق بالعبيد وحدهم (٣١) ٠

ويصلى الأب لبف جيلله (٣٢) قائلا : علمنا يا معلم أن نفحص بتدقيق ونكتشف المعنى الالهى لكل واحد منا ٠٠ غيّر شكل عملنا ليصير خدمة ، ليصير مسحة » ٠

البناء ، السباك ، الميكانيكي قد لا يعرفون كيف يحسون بالسمات الروحية المخفاة في أعمال البناء والاصلاح وصبر العادن. انهم يعرفون جيدا أنهم حينما يؤدون هذه الأعمال للآخرين فهم يخدمونهم ولكنهم لا يعرفون أنهم بخدمتهم للناس يشاركون المعلم الذي قال : « أنا بينكم كالذي يخدم (لو ٢٢ : ٢٧) » لا يعرفون أن الذي نطق هذه العبارة كان نفسه نجارا (Tektōu) هذا الاصطلاح اليوناني الذي استعمله الانجيل عندما تجاوز المعنى الضيق لكلمة نجار ليشمل أيضا عمل الحداد والبناء ، لقد كنت حقا يا سيدي عاملا على أعلى مستوى وكنت الخادم الأعظم .

وما زلنا ، نعرف كل هذا . فواجبنا نحن العاملين أن نضع هذا أمام مجال الذين لا يعرفون . علينا أن نشرح كل مهنة بالنسبة الى شخصك . انه واجبنا أن نفكر فيه ونفصل من أجل عمل كل انسان حتى تكون حضرتك جلية في هذا العمل يا معلم . لقد رغبت في أن تستخدم أدوات عمل تلاميذك اليومي لتجعلها آلات ملكوت الله . فيوما حينما خرجت من البيت وجلست عند البحر تجمع حولك الجموع الكثيرة ، دخلت احدى السفن ومن هناك علمت الجمع الواقف على الشاطىء (مت ١٣ : ٢) وهكذا حولت سفينة الصياد الى منبر للحق . يا رب . ان كنت أعارس لأجلك وعملك العمل اليدوي أو الذهني الذي ائتمنتني عليه فأنت الذي ستستعمل باستعمال عملي هذا . فمن خلاله ستلمس النفوس . ربما دون أن يلحظ أحد الا أن عملي سيصير وسيلة بها يصل حبك لمن تحبهم . سيدي أجعل من سفينتي موضعا تتكلم منه .

مسئولية المؤمن ازاء العمل

١ - العمل باجتهاد (٣٣)

العمل ضرورة نفسية حتى أن اهماله يفقد النفس راحة كبرى لا يحققها أي شيء آخر . يقول سليمان « نوم المشتغل حلو سواء

أكل قليلا أو كثيرا » (جا ٥ : ١٢) ..وكما أن الصلاة احتياج أساسى لحياة الانسان الروحية كذلك العمل أيضا ضروره تحفظ اتزان كيانه وتناغمه مع الحياة .. والاثنان : العمل والصلاة لايمكن أن يغنى أحدهما عن الآخر .

وأطباء علم النفس الآن يعالجون أغلب متاعب مرضاهم بالعمل، فالكسل والبطالة أكبر عدو لروح الانسان ونفسه وجسده أيضا. أما اذا رجعنا الى الوحى الالهى فنجد كلمات عديدة تؤكد هذه المعانى وتشجع على العمل باجتهاد ..

+ (الانسان يخرج الى عمله والى شغله الى المساء) ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت (مز ١٠٤ : ٢٣ ، ٢٤)
- البطالة تعلم خباثة كثيرة (حك يش ٣٦ : ٢٧)
+ لا تكره الأعمال المتعبة (حك يش ٧ : ١٥)
+ ايها العبد الشرير والكسلان (مت ٢٥)

ونحن نعمل باجتهاد لأن الذى يكسل فى أعماله الجسدية يكسل فى نشاطه الروحى . نخطىء اذ نفصل اهتماماتنا الروحية عن عملنا والرسول يوحنا يقول لتلميذه غايس « أروم أن تكون ناجحا فى كل شىء كما أن نفسك أيضا ناجحة » (٣ يو ٢) . واذا استولى علينا الكسل فلا يمكن أن ننجح حتى فى أمور العبادة الروحية وفى اقتناء الفضائل . فالاجتهاد يساعد ويشجع فضائل عديدة فى النفس « الحلم يأتى من كثرة التشغل » (جا ٥ : ٣) « فى كل تعب منفعة » (أم ١٤ : ٢٣) .

ونحن نعمل باجتهاد حتى نكون أمناء أمام الله والناس والأمانة صفة اما أن يأخذها المؤمن فى كل حياته وفى كل أموره.. من وقفة الصلاة حتى أبسط تصرفاته اليومية العادية .. والا فهو غير أمين (الأمين فى القليل أمين أيضا فى الكثير) .

٢ ـ الاتقـان

اتقان الأعمال الصغيرة أفضل وأعظم من القيام بالأعمال التي يبدو مهمة في نظر الناس . اننا نحب أن نؤدي واجبات الحياة الصغيرة بأمانة ومواظبة وتفكير وتوقير لا أملا في كسب مديح الناس ولكن حبا في ارضاء الله . ان الله يهمه كيف تعمل وليس نوع العمل أو كميته أو شهرته . ان المسيحي يشعر أنه يشتغل عنـد الله نفسه فهو يرفع نظره الى الله أبيـه فيعمل أعماله بروح العبادة وبذلك يصير أفضل مواطن وأصلح خادم لمجتمعه وان كان لا يهمه دائما أن يجد شكرا أو مجازاة لدى هؤلاء .

« لا بخدمة العين كمن يرضي الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب . وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح » (كو ٣ : ٢٢ـ٢٤ ، أف ٦ : ٥ـ٩)

٣ ـ العمل بروح شاكره

الذي يعمل لأجل المسيح والذي يعمل بروح الاخلاص والأمانة يتحول العمل عنده هواية ، لهذا لا يصيبه الملل أو السأم كثيرا وهو اذ يشكر الله كل حين لا ينتقد أحدا ولا يتذمر من أحد ولكنه يعمل على عمله بروح بناءة ايجابية شاكرة .

٤ ـ العدالة الاجتماعية (٣٤)

انه يوجد في العـالم ولا شك أنظمة اجتماعية ، واقتصـادية ظالمة وشرائع جائرة يئن تحتها مساكين الأرض الذين شـاء يسوع أن يكون أحدهم .. لذلك لا يسع المؤمن العامل أن يبقى مكتوف الأيدي بل يتوجب عليه أن يعمل لبناء العالم المنشود .. انه يسعى الى أن يقدم حياته أولا ذبيحة لخدمة الآخرين ويسعى أيضا الى أن

يهب روح المسيح على قلوب العاملين كتلك الريح العاصفة التي كانت يوم العنصرة لتقلع منها الأنانية وحب السيطرة والاستغلال. وهو يجاهد ضد الظلم والاستغلال دون أن يدخل قلبه العداوة والحقد لأحد . هو يسعى لتحطيم أصنام الظلم والاستعباد ولكنه حريص أيضا الا يقيم عوضا عنها في قلبه صنما آخر رهيبا وهو صنم الحقد المتسع .. لذلك يلزمنا في أعمالنا أن نبغض الظلم ولكن نحب جميع الناس .. ان العامل المسيحي المؤمن يرحب بكل الحركات المحررية والتقدمية ويساهم فيها بكل ما أوتي من قوة لأنه يعلم أنها مسئوليته أمام الله والناس والضمير أن يكون أداة ووسيلة للخير والعدالة الاجتماعية وهو لا يقف سلبيا من الأنشطة السياسية والوطنية لأن الايجابية في هذه الأنشطة تعبر عن انسانيته واكتمال كيانه .. فالشخص السلبي أو المتقوقع أو الطائفي أو المتعصب لا يستطيع أن ينفتح أو يحب أو يذوب كملح للعالم أو ضياء كنور مبهج لجيله وأهل زمانه على أن المسيحي في خلال نشاطه السياسي والاجتماعي والوطني التقدمي لا ينسى أن ملكوته الحقيقي هو في السماء وأن الكنز الحقيقي ليس على الأرض حتى لا تجرفه أحداث الزمان وتبتلعه دوامة السياسة والأخبار .. لذلك يلزم للمؤمن ألا يقع في عبادة العمل والأنشطة المختلفة في حد ذاتها لأن الله يطلب أن نعطيه أعماق كيان القلب والرب قد امتدح مريم أكثر من مرثا رغم ان الأخيرة كانت هي التي تكد وتتعب وذلك لأنها غرقت في دوامة العمل وفقدت هدوءها وسلامها واتهمت أختها بالتكاسل .. لأجل هذا يلزمنا أن نعمل باتزان دون وقوع في الطموح ومحبة المال وعبادة العمل والصيت والشهرة لأن هذه كفيلة أن تكون لنا أصناما تبعدنا عن عبادة الاله الحي .

٥ ـ تكريم الراحة في حياتنا الجسدية

منذ بداية الخليقة وموضوع الراحة أمر واضح في قصد الله . وفي الوصايا العشر خصصت وصية لأجل الراحة والعبادة

والهدوء ، والراحة لا يقصد بها الكسل والتراخي ، ولكن الراحة هنا عربون الراحة الروحية والنفسية التي سيحيا فيها المختارون في أورشليم السماوية (اذا بقيت راحة لشعب الله) . واذا كان الله قد استراح من عملية الخلق الا أنه لا يزال يعمل ولكن راحته هي في ايجاد الخليقة التي تمجده وتسبحه وتمدح نعمته ، انها راحة الحب التي تشبعها وجود المحبوب . وعلى هذا يلزم للمؤمن أن يكرم ويخصص فترات في كل اسبوع وفي كل يوم للهدوء والسكينة والابتعاد عن المشغوليات والمسئوليات لكي تستريح أعصابه وتهدأ نفسيته وتستقر روحه وتسمو وتقدر أن ترتفع بالصلاة الى الذي أحبها وفداها ومات لأجلها .

انه أمر خطير مشاهد في هذا الجيل وهو الانغماس في دوامة العمل الى حد التوتر الشديد والارهاق العصبي .. واذا كان البعض يتصور أن لقمة العيش تحتاج الى هذا الانغماس الشديد في العمل، فانه يخفى أحيانا علينا أن ما نحصله من مال على حساب الراحة ينفق في الأدوية لعلاج الأمراض الناجمة عن سوء التدبير الجسدي المستمر .

كم هو مفيد للمؤمن أن يأخذ أسرته أو أصدقاءه الى حديقة هادئة ويجلس معهم متمتعا بجمال الطبيعة ممجدا الله على حسن صنيعه معطيا لنفسه فترة استرخاء وتجديد وانتعاش . وكم هو مفيد أكثر للمؤمن أن يخلو مع نفسه في فترات هادئة لا يكون معه أحد وليس في فكره شيء سوى أن يجلس عند أقدام المخلص كما فعلت مريم التي اختارت النصيب الأصلح . « لقد ورد أن القديس يوحنا البشير كان بين الحين والحين يلعب بطائر صغير ليسلي نفسه ، فسأله أحدهم عن سبب هذا فأراه قوسا وقال له متى نضع السهم في القوس فأجابه الرجل عندما تريد أن تصيد به فقال القديس ولماذا نخلع منه السهم ونترك القوس خاليا في الوقت الذي لا نستعمله فيه . أجابه لئلا ينقطع الوتر اذا استمر مشدودا أجابه

القديس هكذا العقل اذا استمر عاملا بدون رياضة تتلف . ولهذا فان سليمان الحكيم يحذرنا من العمل المنهك والعبر مجد قائلا . فمن هذا يا ابنى تحذر . لعمل كتب كثيرة لا نهاية والدرس الكثير تعب للجسد . (جا ١٢ : ١٢) (٣٥) .

تدبير الملبس والزينة

١ ـ العفة فى الملبس :

ان العرى لم يكن خطيئة .. لأن الله خلقنا عراة ولم يخجل آدم وحواء من عريهما .. ولكن اكتشاف العرى كان بسبب الخطية الأولى .. يقول الكتاب « فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر .. ولما نادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت قال : « سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت » (تك ٣ : ٧) .

وهكذا أثرت الخطيه الجسدية فى الجسد اذ أشعلت فيه الغرائز وأعطتها الجموح والحدة : كما أثرت فى القلب والفكر وحرمتهما نقاوتهما الأولى كما سلبت من العينين طهارتهما وبساطتهما . لذلك لا يمكن أن ندعى أنه يمكننا الآن أن نعيش عراة ذلك لأنه لم تعد لنا بساطة آدم وحواء التى كانت لهما قبل السقوط .

حقيقة لا يزال العرى يسود بعض القبائل المتأخرة فى أفريقيا وآسيا واستراليا ولكن ذلك ليس لأنهم أطهار أنقياء لا يستشعرون الخطيئة أو الحياء وانما لأنهم يحيون حياة دون أى ضوابط جنسية .

« نحن نتعرى عندما ندخل جرن المعمودية لأننا بالمعمودية ندخل الفردوس ونشترك مع موت المسيح . وان خرجنا من هذا الجرن نتشح بالملبس لأن الخطيئة لم تمت فينا (٣٦) وان كانت شوكتها قد كسرت وسلطانها قد زال على المولودين من فوق » .

والشهداء تعروا عندما صلبوا أو قتلوا أو حرقوا ولكن عريهم لاجبارى هذا مقارنهم بثوب النعمة اذ صاروا متوشحين بالمسيح ذاته ٠٠ **فالمؤمن يرفض العرى لأنه يعرف أن الجسد العارى** معثر ، وأن اللباس مانع لتسرب هذه العثرة الى الآخرين ٠٠ وهو يرفض **العرى لأنه يرى فيه تحد للخالق** الذى ألبس آدم وحواء لباسا من الجلد ستر به عوراتهما ٠٠ هو يرى فى خلع الثياب اعتراضا على الحالة التى أوجدتنا فيها الخطيئة كما يرى فى الحشمة ولبس الثياب خضوعا واعترافا بما عملته الخطيئة فى الانسان ٠٠ « الحياء اذن ناتج من شعورنا بالخطيئة وان عدم انتباهنا للخطيئة ولا مبالاتنا بها يجعلنا عن موضوع الحياء غرباء ٠٠ لذلك نستطيع أن نقول ان كل انسان يعرى جسده يخالف وصية الكتاب ويحرم نفسه من أن تكون مسكنا للروح » (٣٧) ٠

حقيقة انه توجد نساء محتشمات كثيرات بسبب التقاليد الاجتماعية والضغوط العائلية فحسب ولكن حشمة مثل هذه لم تعد تعبيرا عن عفة منيرة فى هيكل مقدس ٠٠ ليس المهم أن نلبس فى احتشام ولكن المهم أن نحتشم لأن العفة والنعمة التى فى الداخل تلزمنا بالاحتشام ٠٠

واذا كنا قد سبق أن عالجنا كرامة الجسد كهيكل للروح القدس وقلنا ان النفس والجسد خلقا معا على صورة الله ومثاله

فان عدم الاحتشام اهانة كبيرة لهذا الهيكل المقدس ٠٠ والذين يحاولون أن تمجيد الجسد هو بتزيينه وتجميله من الخارج يخطئون لأن مثل هذا الجسد يكون كالتمثال بلا روح والهيكل بلا روح لا قيمة له ٠٠٠ « كلما حرص المؤمن على تزيين الداخل بالفضائل الروحية كلما امتلأ كنز قلبه بالصلاح ٠٠ وكانت الحشمة ستارا يخفى ما فى داخل الهيكل من كنوز ٠٠ ولكن اذا هتكنا حجب الهيكل وتعرى الجسد انسكبت القيم التى فيه على الأرض وتدهورت

وصار الجسد مشاعا للعيون الزائغة وفقد قيمته كهيكل يحوى كل غال ثمين.. (٣٨)

« والهيكل الداخلي لا يستطيع أن يتلامس مع ما في نفوس الآخرين من فضائل اتجاهات وميول الا اذا كان محتشما لان عرى الجسد لا يعطى فرصة الا لالتحام الأحاسيس ، واما النفوس فتظل متباعدة .. ان الجسم المتعرى حاجز دون تسرب النفس الى النفس ومقابلة الوجدان للوجدان » (٣٩) ..

ان مريم المجدلية التي كانت متهتكة مبتذلة عندما تقابلت مع الرب يسوع عمدت الدمعة في قلبها عملا عجيبا . لقد تحولت المرأة المستهترة الى شخصيه باطنية متأملة ولابد أنه من الأدلة على تلامس الهيكل الداخلي مع الروح هو سرعة احتشامها .

ان المرأة المؤمنة اذ تعرف أن الجسد معتبر لا يهمها فقط أن تستره بالملابس ولكنها حريصة ألا تكون طريقة ارتداء الملابس مؤدية للعثرة مظهرة أعضاء الجسد بشكل مثير . لأنها اذ تعرف أن كرامة الهيكل انما في قداسته واعتلائه الداخلي فقط ، فهي تحرص كل الحرص على أن تحفظ له كرامته مهما كانت نظرة أهل العالم الى الموضات ونوع الملابس لأنه مكتوب ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس ..

وستظل كلمات القديس باسيليوس الكبير موبخة كل امرأة معتبرة في لباسها « امرأة تلبس ذهبا وحليا وتتعطر بطيب حسن وهي ماضية الى الكنيسة هذه هي هكذا شك كنها وعثرة كلها (٤٠).

وارتباط الحشمة بالمحبة أمر هام مسيحيا لأن المحبة هي أساس جميع الفضائل ومصدر ايجابيتها وديناميتها . فالشخص الذي يرفض أن يلبس أو يتزين بشيء يحس في ضميره أنه قد يعثر أحد الأصاغر فانه يعمل عمل محبته كذلك العمل الذي قال عنه الرسول بولس « ان كان الطعام يعثر أخي فلن آكل الى الأبد لئلا أعثر أخي » (١ كو ٨ : ١٣) .

٢ ـ الهفة والزينة الخارجية (٤١)

ينتقد أشعياء النبى بروح النبوة جميع النساء اللواتى يتشامخن بجمالهن الجسدى فيقول « من أجل أن بنات صهيون متشامخات ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهن » (اش ٣ : ١٨) .

ولما كان الوحى ينتقد التزين بالحلى وأنواع خاصة فى طريقة الشعر ، فان معلمنا بطرس الرسول أفصح عن طرق تزين الهيكل الداخلى فى وضوح اذ يقول « لا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب بل انسان القلب الخفى فى العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادى الذى هو قدام الله كثير الثمن . فانه هكذا كانت قديما النساء القديسات أيضا المتوكلات على الله يزين أنفسهن خاضعات لرجالهن » ..
(١ بط ٣ : ٣)

وآباء الكنيسة ـ وعلى الأخص اكليمندس الاسكندرى ـ يجمعون على أن للتزين علاقة بالاتضاع ، فكلما كان التزين داخليا كان الاتضاع واضحا ، وكلما كان الاتضاع مستمرا كلما كان الاهتمام بالداخل وليس بالخارج ، ويؤكدون أيضا العلاقة بين التزين والمفهوم المسيحى للجمال . فالذين يفهمون الجمال من منظار مسيحى يدركون أهمية جمال الروح ومنه يستمد الجسد جماله ، أما غير المؤمنين فلا يفهمون الجمال معنى سوى جمال الجسد فحسب ويؤكد الآباء أيضا علاقة التزين بالزواج ، فالمرأة المسيحية ان تزينت فلاجل رجلها وليس لغيره ، وأما غير المؤمنة فهى تتزين للغير وقلما تهتم بزوجها .

والاهتمام بالتزين الخارجى اهانة للهيكل المقدس ودلالة على انه فارغ فى الداخل . فالانسان يلجأ الى الزينة الخارجية كطلاء

خارجي يسعى نحو تغطية الفساد الداخلي . شبيه هذا الأمر بالقبور المبيضة من الخارج، ومن الداخل عظام نتنة ، ان داود النبي عندما يتكلم عن الزينة الحقة يقول « كل مجد ابنة الملك من داخل مشتملة بأطراف موشاة بالذهب متزينة بأشكال كثيرة تدخل الى الملك عذارى في اثرها جميع قريباتها اليه يقدمن .. يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن الى هيكل الملك » (مز ٤٥) .

للمسيحي اذن لا يتبرج لأن كيانه هو ذلك الانسان الداخلي حيث يحيا في عشرة مع الله . وهو ماض في اكتساب هذا الجمال وتحقيق كل صلاح فيه ولا همّ له سوى النمو اليومي في الحقيقة الأبدية ..

لم يمتدح الكتاب المقدس اطلاقا الزينة الخارجية بل أشار في كل موضع الى الزينة الداخلية حيث يلبس مختارو الله القديسون المبيضة من الخارج ، رأفات نطقا وتواضعا ووداعة وطول أناة .. أنهم يلبسون الرب يسوع المسيح ولا يصنعون تدبيرا للجسد لأجل الشهوات (رو ١٣ : ١٤ ، كو ٣ : ٤٣) .

ويقول أكليمندس أن الغرور يحدث ثغرة في النفس تتسلل منه الحية الخادعة فتسلب العقل وتتحول المرأة الى مخلوق تافه لأن الغرور شيمة الغانيات لا شيمة المرأة العاقلة ..

وفي كتاب بستان الرهبان نصيحة للمؤمن بمحاربة الزينة لأن الانسان الذي يحب الزينة لا يقدر أن يحتمل الازدراء ولا يسرع الى ممارسة الأعمال البسيطة ويصعب عليه جدا أن يخضع لمن هو دونه ويخجل من ذلك ، أما المتعبد لله فانه لا يزين جسده واعلم أن كل من يحب زينة الجسد فهو ضعيف بفكرته ولا يرى له حسنات ..

الافضاح والعفة يعاضدان بالمحقرة ، والذي يحب الزينة والكرامة لا تسأله عن حقيقتهما .. » (٤٢)

وفي الكتاب المقدس توصية هام للرجل بعدم التخنث في الملبس وهي ظاهرة قد انتشرت في هذه الأيام وتحتاج الى مواجهة صريحة على ضوء الحق الالهي « لا يكن متاع رجل على امرأة ، ولا يلبس رجل ثوب امرأة من يعمل ذلك مكروه لدى الرب » .
(تث ٢٢ : ٥)

والاهتمام الشديد بالتزين الخارجي علامة على عدم فهم الجمال الحقيقي وفي هذا يقول سليمان الحكيم « الحسن غش والجمال باطل. أما المرأة المتقية الرب فهي تمدح » (ام ٣١ : ٣٠) .

وحرص المرأة على تغطية رأسها وخاصة وقت الصلاة أمر واجب قرره الوحي الالهي على لسان بولس الرسول والقديس يوحنا ذهبي الفم يعلق على هذا بقوله « ان الغطاء على رأس المرأة علامة الخضوع للرجل ، فان الرجل أو المرأة تخطىء ان حاول تبديل ذلك النظام وتعدى الحدود التي وضعها الله للكل .. ان الرجل يسقط في صغر النفس كما تسقط المرأة في التشامخ .. الرجل بطبيعته غير مدعو أن يغطي رأسه ، بينما المرأة لها غطاء هو شعرها . كم يكون الجرم مشينا اذا حاولت المرأة أن تعري رأسها وحاول الرجل أن يغطي رأسه ان هذا بجانب مخالفته للطبيعة فهو مخالفة للوصية وتحد لأمر الكتاب . وان قال قائل أي قبح في أن ترتقي المرأة لمنزلة الرجل نجيبه أنها لا ترتقي بل بالحري تنزل من كرامتها اللائقة . ان عدم بقائنا في حدودنا وخروجنا عن أطار وصايا الله ليس زيادة لنا بل نقصان ، وكما أن من يشتهي مقتنيات غيره ويأخذ ما ليس له لم يكسب شيئا زيادة بل نقص اذ خسر أيضا الذي له تماما كما حدث في الجنة ، هكذا أيضا المرأة لا تأخذ كرامة الرجل بل تفقد حتى اللياقة والحشمة التي لها كامرأة وكما أن الوالي عندما يأتي أمام الملك ينبغي أن يحمل شعار المملكة والزي الرسمي كذلك أنت أيها الرجل لا يمكنك أن تصلي لله وأنت مغطي رأسك لأن هذه

اعانه الله الذى كرمك بهذا الشرف ، وهكذا المرأة عار عليها أيضا الا تحمل شعار خضوعها وهو غطاء رأسها عندما تقف أمام الله فى الصلاة » (٤٣) ..

النظافة والهندام :

على أنه ليس معنى ما قيل من عدم التزين بالضفائر والحلى واهانة الجسد بالمساحيق والطلاء الخارجى .. ليس يعنى هذا أن الانسان يبدو أمام الآخرين قذرا رث الثياب غير مهندم .. ان هذا النقيض مقيت وخاصة فى الشهادة أمام الناس والدين من خارج . ان المسيحى حريص على نظافة الداخل والخارج أيضا .. يلزمنا أن نفعل هذه ولا نترك تلك أى أن ننظف الهيكل من الداخل وأيضا لا نهمله من الخارج ..

كريه جدا أن يعتنى المسيحى بنظافة جسده وملابسه وغسلها وتبييضها وعنادمها دون تأنق أو استعراض أو اثارة وانما فى لياقة وبجاوب مع ارادة الله هذه الارادة أن يكون جسد المؤمن هيكلا للروح القدس ، وأن الرب مزمع أن يمجده فى مجيئه الثانى ويلبسه ثوبا نورانيا ، ويوشحه بالمجد الذى له بالقيامة من بين الأموات . فاذا كان الرب يريد للجسد هذا الاكرام يعنى اذن أن أعتبر وأوقر هذه الارادة فأعطى لجسدى الاحترام والظهور بالمظهر اللائق به فى اتزان واعتدال ولياقة وافراز ... وكما أن التبرج امر بغيض مسيحيا فان اهانة الجسد بوضع المسرح وعلامات الحزن الردىء أمر كريه أيضا مسيحيا .. فالخلاعة والتبرج دلالة على فراغ النفس وكبريائها واهانة الجسد بالمسوح والحزن الردى دلالة على صغر النفس ومذلتها والتشامخ وصغر النفس وجهان لشىء واحد وهو الذاتية التى علمنا الكتاب والآباء ضرورة صلبها وتجاوزها ..

وان كنا قد تكلمنا كثيرا عن الكيف يلزمنا ان نشير ولو اشارة عابرة عن الكم . فان المسيحى الحقيقى يعرف أن من احدى شهوات

الانسان العتيق هو الاكتفاء من اقتناء الملبس لا لاحتياج بسبب كثرة الأعمال واختلاف أنواعها ولكن لاشباع شهوة القنية وهنا يعلمنا بولس الرسول « فان كان لنا قوت **وكسوة** فنكتف بهما . وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبيه ومضره تغرق الناس فى العطب والهلاك » ٠

تدبير الكلام والمناقشات

النطق من أهم المميزات التى تميز بها الانسان تاج الخليقة وهى موهبة عظيمة خص الله الانسان بها كقول القديس اغريغوريوس الثيئولوغوس فى قداسه التأمى العجيب « أعطيتنى موهبة النطق »(٤٤)

- فهى وسيلة التفاهم والتعاون بين البشر
- وهى وسيلة الصلاة والترتيل والتسبيح
- وهى وسيلة التعليم والوعظ والارشاد
- وهى وسيلة تعزية المتألمين والمتضايقين
- وهى وسيلة الدفاع عن الحق ٠٠
- بل هى وسيلة الربط وتمكين الحب ورسالتها تتعدى هذه الحياة الدنيا الى الحياة العتيدة حينما نشارك غير المرئيين تسبيحهم وتختلط أصواتنا بأصواتهم نبارك الجالس على العرش الحى الى أبد الأبدين ٠٠

أهمية وخطورة الكلام

يقول الرب يسوع « بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » ، ان كلمة واحدة يقولها الانسان ربما كانت علة نكبته وشقائه وموته ٠٠كم من مرة اجتمع اليهود على السيد المسيح ليصطادوه بكلمة (مت ٢٢ : ١٥) ونحن أيضا كثيرا ما تجتمع علينا الشياطين لتصطادونا من ألسنتنا وكلماتنا فعلينا أن نضبط شفاهنا ونتحفظ عليها(٤٥)

يعلمنا الطوباوى لأنبا أنطونيوس « لنجاهد فى أن نضع حافظ قويا لأفواهنا حتى لا ننطق بنطق شرير لأن النطق الشرير هو أشر من جميع الخطايا ، وجميع الجراحات تبرأ أما جرح اللسان فليس له شفاء البتة » .

وفى هذا نقول حكمة سيراخ « ضربة السياط تبقى خيطا وضربة اللسان تحطم العظام .. كثيرون سقطوا بحد السيف لكنهم ليسوا كالساقطين بحد اللسان » (سيراخ ٢٣ : ٢١ و٢٢)

ولادراك خطورة اللسان والكلام نورد ما قاله يعقوب الرسول « ان كان أحد لا يعثر فى الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضا .. هوذا الخيل نضع اللجم فى أفواهها لكى تطاوعنا فندير جسمها كله .. هوذا السفن أيضا وهى عظيمة بهذا المقدار وتسوقها رياح عاصفة تديرها دفة صغيرة جدا الى حيثما شاء قصد المدبر . هكذا اللسان أيضا هو عضو صغير ويفتخر بامور عظيمة .. هوذا نار قليلة أى وقود تحرق .. فاللسان نار ، عالم الاثم ، هكذا جعل فى أعضائنا اللسان الذى يدنس الجسم كله ويلتهب دائرة الكون ويضرم من جهنم .. لأن كل طبع للوحوش والطيور والزحافات والبحريات يذلل وقد تذلل للطبع البشرى . وأما اللسان فلا يستطيع أحد من الناس أن يذلله . هو شر لا يضبط ممتلىء سما ميتا . به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله » (يع ٣ : ٢ــ٩) . ويكفى أن الرسول نفسه اعتبر لجام اللسان دلالة التدين فى قوله « ان كان فيكم أحد يظن أنه دين وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة » (يع ١ : ٢٦) .

وقد بين لنا الرب يسوع أن الكلام هو تعبير عما فى داخل القلب عندما واجه الفريسيين بقوله « يا أولاد الافاعى . كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار ، فانه من فضلة القلب

تتكلم الفم . الانسان الصالح من الكنز الصالح يخرج الصالحات والانسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور . ولكن أقول لكم ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين » (مت ١٢ : ٣٤-٣٦) .

واذا ما وضعنا أمامنا هذه الآية أن كل كلمة بطالة سوف نحاسب عليها لأدركنا خطورة التساهل فى أخطاء اللسان وضرورة ضبط الفم ولجم اللسان .

قال القديس يوحنا الدرجى « اغلق باب المخدع على الجسد ، وباب الفم على اللسان ، وباب القلب دون الشهوات والأفكار الكثيرة » (٤٦) .

كيف نتكلم ؟

لقد وضح لنا أهمية وخطورة تدبير الكلام وضبط اللسان ، ويهمنا هنا أن نضع المعالم الرئيسية لهذا التدبير .

(١) أن يكون بنعمة :

ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحا بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل أحد (كو ٤ : ٦) .

وبدون هذه النعمة الالهية فان اللسان ينحرف والقلب يزوغ والجسد يتحيز ويتعصب ويبتعد عن الحق .

وما أجمل تعبير الرسول عندما يقول مصلحا بملح أى أن يكون مذاقه حسنا ونافعا صالحا غير نتن . والملح الجيد هو عمل الروح فينا . فان كانت لنا شركة مع الله فان النعمة تمنح حياتنا وبالتالى يكون كلامنا مصلحا بملح ..

(٢) أن يكون فى بطء واتزان وحكمة :

« اذا يا أخوتى ليكن كل واحد مسرعا فى الاستماع مبطئا فى التكلم مبطئا فى الغضب » (يع ١ : ١٩) .

والرسول يعقوب هنا يضع أمامنا قواعد هامة للكلام مثل الاستماع والانصات الطويل فهذا يعطى للعقل روية وصفاءوحكمة وقدرة على التمهل والاستشارة وانتقاء الجيد دون الباطل ، ثم البطء فى التكلم مع بطء فى الغضب ليحتفظ الانسان بهدوئه واتزانه ويتحصن ضد الاندفاع الذى كثيرا ما يورد الانسان التهلكة . والحكيم يحذرنا من الاستعجال بقوله « لا تستعجل فمك ولايسرع قلبك الى نطق كلام قدام الله .. لتكن كلماتك قليلة » .

والحكيم يمتدح هذا الاتزان بقوله :

- هدوء اللسان شجرة حياة واعوجاجه سحق فى الروح
+ كثرة الكلام لا تخلو من معصية أما الضابط شفتيه فعاقل
+ لسان الحكماء يحسن المعرفة وفم الجهال ينبع حماقة
+ لسان الصديق فضة مختارة قلب الأشرار كشىء زهيد
+ تفاح من ذهب فى مهموغ من فضة كلمة مقولة فى محلها
(أمثال ١٥:١ + ١٦:٢٤ + ١٠:١٩ + ٢٥:١١)
- للسكوت وقت وللتكلم وقت (جا ٣ : ٧)
+ فى أذنى جاهل لا تتكلم لأنه يحتقر حكمة كلامك
(أم ٢٣ : ٩)

(٣) أن يكون فى الحق :

« لا تنزع من فمى قول الحق » (مز ١١٩ : ٤٣) .
والرسول بولس يقول « هكذا نتكلم لا كأننا نرضى الناس بل الله الذى يختبر قلوبنا » (١ تس ٢ : ٥) .

+ من يعترف بى قدام الناس اعترف أنا أيضا به قدام أبى الذى فى السموات (مت ١٠ : ٣٢)
+ افتح فمك لاجل الآخرين فى دعوى كل يتيم . اقض بالعدل . حام عن الفقير والمسكين (أم ٣١ : ٨ و٩)

- فم الصديق ينطق بالحكمة ولسانه يتكلم بالحق (مز ٣٧ : ٣٠)

وهذا الاتجاه هو ثمرة عمل النعمة « لأن النعمة والحق بيسوع المسيح صارا » (يو ١ : ١٧)

وهذا الحق الذى يملأ قلب المؤمن يخلصه من أمور كثيرة يعثر فيها الكثيرون وينغمس فيها أهل العالم نذكر منها :

الكذب

«متى تكلم بالكذب فانما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب» (يو ٨ : ٤٤)

« يتكلمون بالكذب كل واحد مع صاحبه »
(مز ١٢ : ٢)

النعومة

« الذين يقولون للرائين لا تروا وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات · **كلمونا بالناعمات** أنظروا مخادعات · حيدوا عن الطريق · ميلوا عن السبيل · أعزلوا من أمامنا قدوس بنى اسرائيل »
(أش ٣٠ : ١٠)

« ألين من الزبدة فمه وقلبه قتال · ألين من الزيت كلماته وهى سيوف مسلولة » (مزمور ٥٥ : ١)

« لسانهم سيف قتال يتكلم بالغش . يكلم صاحبه بسلام ، فى قلبه يضع له كمينا » (أر ٩ : ٨)

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

التملق والتعاظم

+ يقطع الرب جميع الشفاه الملقة واللسان المتكلم بالعظائم
(مز ١٢ : ٣)

+ انما أقول هذا لئلا يخدعكم أحد بكلام الملق
(كو ٢ : ٤)

السفاهة والهزل

« ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التى لا تليق بل بالحرى الشكر » (أف ٥ : ٤)

الاندفاع وخاصة فى الغضب

« البطيء الغضب خير من الجبار ، ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة » (أمثال ١٦ : ٣٢)

(٤) أن يكون بمجاهرة وقوة فى التحدث عن الايمان

« وأتكلم بشهاداتك قدام الملوك ولا أخزى » (مز ١١٩ : ٤٦)

« فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » (مت ١٠ : ١٩)

« والآن يا رب أنظر الى تهديداتهم وامنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة ... ولما صلوا تزعزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه وامتلأ الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة » (أع ٤ : ٢٩ـ٣١)

ان النعمة والحق اللذين فى المسيح يسوع عندما يسكنان فى قلب مؤمن فانه لا يطيق أن يسكت بل انه دائما يبشر ويكرز بنعمة بشارة الملكوت وعندما يسأل عن سبب الرجاء الذى فيه يجيب بكل حكمة وجرأة دون تخوف من أحد انه لا يستعد للكلام ولكنه يسلم قلبه ولسانه للروح القدس الذى يعطى فيضا وتكون التعاليم بسلطان ليس كالكتبة والفريسيين .

ما أحوجنا فى هذه الأيام الى جسارة الايمان وشجاعته وجرأة الحق التى من أجلها صلى داود ألا ينتزع الرب من فمه قول الحق..

(٥) فى قدوة

كن قدوة للمؤمنين فى الكلام ، فى التصرف ، فى المحبة ، فى الروح ، فى الايمان ، فى الطهارة (١ تى ٤ : ١٢) .

وهذه القدوة تستلزم من المؤمن أن يراعى آداب الحديث فيتكلم عندما يطلب منه ويجيب باختصار على ما يسأل عنه ، ويتحدث فى أدب واتضاع لا فى تظاهر وادعاء ، ويتكلم بصوت منخفض لأن الصوت المرتفع دلالة على كبرياء القلب ، واحدة فى الحديث علامه على عدم الاتضاع . وهو لا يقاطع غيره فى الكلام ولا يرد على سؤال يوجه الى غيره ويحرص الا يكون أول المتكلمين . وفى حديثه مع الكبار يقدم الكرامة لهم يوجه ويراعى آداب التخاطب مع الشيوخ ، وهو لايلين ولايدور ولايجامل ولكنه يتكلم الحق فى هدوء تاركا الحق يدافع عن نفسه ويثبت قوته ، وهو لا يصدر الاحكام العامة ولكنه موضوعى فى حديثه ويخفى ذاته فى النقاش والتخاطب لأنه يسعى الى مجد الله وليس الى مجد ذاته . وهو يراعى شعور الآخرين فلا يجرحهم ولا يتهكم عليهم ولا يبرز عيوبهم ولا يسقط أخطاءهم ولا يسأل أسئلة محرجة ولا يفتخر بآرائه وعلمه ويتجنب الألفاظ القاسية ولا يقف موقف المعلم ولكنه يذكر دائما ضعفه وكمن رحمه الله يرحم الآخرين فى مواقفهم وأحاديثهم فيعاملهم بنظرة (٤٧) .

(٦) فى حشمة (٤٨)

الحشمة ليست مجرد ستر الجسد وعدم التزين بالضفائر والذهب ولكن أعماقها تكمن فى الصمت والخضوع .. فالزينة هى زينة الروح **الوديع الهادى** .. والرسول بولس فى حديثه عن قضية الحشمة بعد أن أوصى النساء بعدم التزين الخارجى أوصى الرجال أن يصلوا بدون غضب ولا جدال (١ تى ٢ : ٨-٩) والنساء أن يخضعن ولا يرفعن أصواتهن ويؤكد أنه ان كان أحد يظن أنه محب للخصام فليس لنا عادة مثل هذه ولا لكنائس الله (١ كو ١١ : ١٦)

فالغضب والثرثرة وحب الجدال تتناقض مع العرى وتشترك

وإياه في قضية الحشمة .. ان المسيحي المحتشم ليس هو الذي يغطي جسده ويستره فقط بل والحريص أن يكون باطنيا مخبئا كلام الله في قلبه .. وتبدو الحشمة في علاقتها بالكلام واضحة عند المرأة أكثر لأن المرأة مهيأة للصمت وموجهة الى الحياة الداخلية الى ما هو مستتر في أعماق الكيان أكثر من الرجل الذي يعبر في حياته بالكلام والشرح . ان قوة المرأة في صمتها ووقارها وهدوئها وانضباعيا ، وكانت مريم تحفظ كل شيء في قلبها ... هانذا أمة الرب لتكن لي كقولك » .. لذلك لا تعجب ان يعلم بولس الرسول بألا ترفع المرأة صوتها في الكنيسة وان كانت تريد أن تتعلم فتسأل زوجها في المنزل ..

لهذا يلزمنا أن نتكلم في وقار وحشمة حريصين على ما في الهيكل من ذخر غير ثرثارين لئلا نعري ما في الباطن ونلقى به ونبقى فارغين أمام الله والناس ..

تدبير الحواس وخاصة العين

الحواس هي منافذ الانسان التي يطل منها على العالم الخارجي وهي في نفس الوقت دلالات وتعبيرات عما في داخل الهيكل فهي تكشف عما في داخل القلب من مكنونات .

لهذا يستطيع المؤمن أن يعرف أعماق قلبه من تطلعات حواسه، فعينه تكشف له عن بساطة قلبه أو ظلمته وأذنه تعبر له عما في داخله من اشتياقات وميول ، ولمسه يوضح له ما يريده قلبه ان كان نجسا أم مباركا . وكلما تقدم الانسان في حياته الروحيه كلما تدرب على ضبط حواسه ، وكلما ازدادت استنارته في استخدام الحواس للخير ، كما يقول بولس الرسول « الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر » .

(عب ٥ : ١٤)

والاتجاه العام فى تدبير الحواس وضبطها وتجديدها هو الاتجاه من الخارج الى الداخل ومن الداخل الى الله ... ان هدف الحواس عند الانسان المسيحى هو أن تكون بمثابة محولات تستغل كل ما هو فى الخارج لخدمة ما فى الداخل .. وعلى ذلك فان الانسان الخارجى لابد له أن يخدم الداخل .. ان هذا العمل يهدف الى اعادة الانسان الى كيانه الأصيل يوم أن كان انسانا باطنيا وكانت حياته فى الملء الداخلى الذى فيه تمتع بالوجود الالهى .. وليس هذا أمرا سهلا .. فبالرغم من أن هذا العمل هو الخطوة الأولى نحو اعادة بناء الانسان الا أنه لا يصل اليها الا بعد تصميم يواجه عملا نضاليا طويلا لمحو العادات القديمة لتحل محلها عادات أخرى تتفق ونظام الحياة الجديدة .. وهنا تبرز الأهمية الكبرى للسيطرة على الحواس واستعمالها فى وضعها الصحيح .. .. ويعطى لنا أيوب البار أفضل مثال لضبط الحواس فى قوله « عهدا قطعت لعينى فكيف أتطلع فى عذراء » (اى ٣١ : ١) .

ضبط الحواس :

يذكر الكتاب المقدس وصايا كثيرة تختص بضبط الحواس نسرد بعضها ونبين أهمية هذا الضبط ..

+ ان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .. وان كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم .
(مت ٥ : ٢٩ ـ ٣٢)

- العين لا تشبع من المنظر والأذن لا تمتلىء من السمع .
(جا ١ : ٨)

- الهاوية والهلاك لا يشبعان وكذا عينا الانسان لا تشبعان .
(ام ٢٧ : ٢٠)

+ سراج الجسد هو العين . فان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا . وان كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما . فان كان النور الذي فيك ظلاما فالظلام كم يكون .
(مت ٦ : ٢٢-٢٣)

وقد كتب القديس نيوفان الناسك في هذا الصدد يقول « انتبه لنفسك واعلم كيف تدربها . حاول بكل طريقة أن تمنع حواسك من الجولان هنا وهناك كيفما شاءت لأن المفروض ليس فقط أن تبعدها عن الملذات بل أن توجهها نحو كل ما هو خير ونافع ولازم لحياتك الروحية . ان كانت حواسك الى الآن تجمع وتنشط الى الملذات الحسية . فحاول أن تقمعها من الآن فصاعدا وعد بها من هذا الاعوجاج . واضبطها الآن جيدا وكما أنها قد أسرت من قبل في لذات باطله وضاره ، عليها الآن أن تتدرب كي تدخل انفعالات عديده الى النفس . ستجمع النفس الى الداخل واذ تحدق بها على رياح التأمل الفعلي ترتفع بها الى رؤية الله والتسبيح لجلاله .. (٤٨) .

والقديس اوغسطين يحذرنا من خطورة العين في السقوط بقوله : نظرة ثم فكرة ثم هيام ثم سقوط فبداية الانهيار هو النظرة الزائغة الشهوانية وحواء سقطت بتشهوه النظر وامرأه فوطيفار رفعت اليه عينها . وداود سقط لما رأى امرأة أوريا الحيثي . وشمشون أوقع نفسه في الخطر لما خدعه جمال دليلة .. والشيخان اليهوديان حاولا فعل الخطة لما وقع نظرهما على سوسنة العفيفة وهي تستحم في حديقتها (دا ١٣) .

وسليمان أنهار لما نظر الى الاجنبيات . وامون أذل أحمه تامار لما تمعن في جمالها (٢ صم ١٣) .

وقد أوضح لنا الكتاب المقدس خطورة ترك الحواس كي تدخل الى النفس شهوات عديده وأهواء مختلفة اذ تبين لنا أن الشهوة

اذا حبلت تلد خطيه ، والخطية اذا كملت تنتج موتا (يع ١ : ١٥) ، فالانسان الذى يترك الشهوات تدخل اليه من خلال الحواس فانها تثير فيه قتالا لا يخلو من السقوط (٤٩) .

■ التلامس مع الحق الذى فى الموجودات :

يلزم على المؤمن بعد أن يقمع جسده ويضبط حواسه ويخضعها لارادته ، وارادته نفسها يخضعها لنعمة الله العامله وروحه القدوس .. عليه بعد هذا أن يدرب نفسه على التلامس مع الحق الذى فى الموجودات .. أعلم أن ما تحويه هذه الأشياء من ابداع ليس من ذاتها ولكن كل ما فيها هو من عمل الله .. لأن الله يعطى لكل شىء وجوده وجماله بقدرته الغير مرئية ، وهو الذى يكسبها جمالا وروعة ويعطيها قوة التأثير على الآخرين ، وبالاجمال ان الله هو سبب كل جمال فيها .. درب نفسك على عادة النفاذ الى الحق نفسه وليس الاكتفاء بالنظره السطحيه للأمور . ان الهيئة الخارجيه المحسوسة قد تثير فيك الانفعالات الشهوانيه ولكن الجوهر الداخلى سيبقى دائما مبعثا للاشراقات الروحيه فى العقل والعاطفه وعنصر للتأمل والتسبيح ..

وقد أورد ڤيوفان الناسك أمثلة كثيره لهذا الاتجاه وشرح كيف يمكننا أن نتأمل فى الله من خلال النظر الى السماء والأجسام السماوية والأشجار والأعشاب والزروع .. كما طبق هذا الاتجاه على كل حاسة من الحواس الخمس (٥٠) .. ثم يقول « ان واظبت على ممارسة هذا التدريب يا حبيبى ، ستقدر أن تتعلم عن معرفة الله بواسطة حواسك الخمس ، وذلك برفع عقلك دائما من المخلوقات الى الخالق ، حينئذ ستترى فى الوجود علم اللاهوت ، ولاينما أنت عائش فى هذا العالم الحسى ، سيكون لك مشاركة فى معرفة العالم الآتى لأن الطبيعة والكون وكل شىء فى العالم ما هى الا آداة الذى

أبدع كل هذه المخلوقات ٠٠ والرسول بولس يؤكد هذا بقوله « ان أموره غير المنظوره ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمديه ولاهوته (رو ١ : ٢٠) (٥١) ٠٠ واذا واظب المؤمن على هذا الاتجاه وتعمقت فيه هذه الروح فانه يصل الى مايسمى بتجديد الحواس ٠

في هذا يقول الرب في سفر الرؤيا « اشير عليك أن تشتري مني ذهبا مصفى بالنار لكي تستغني وثيابا بيضاء لكي تلبس فلا يظهر خزي عريتك وكحل عينيك بكحل لكي تبصر »
(رؤ ٣ : ١٨)

فالذي أخذ من الرب دموع لهيب الروح الذي يطير وينقي والذي اغتسل في دم الحمل وصارت ثيابه بيضاء ٠٠ هذا مطوب من الرب وفيه تتحقق الآية المباركة : « طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع » (مت ١٣ : ١٦) ٠

ويذكر كتاب حماة الصلاة الأرثوذكسية هذا الاخبار في قوله « وتواقع أن الشخص يجوز تغييرا عاما يشمل كل حياته المادية الى الروحانيه ، فالعين بعد أن كانت تجد مسرتها في الجمال المخلوق سواء كان في مناظر الطبيعة الخلابة أو بهاء الوجوه البشريه ٠٠ تجدها قد انتقلت انتقالا مجيدا من هذه الماديات الزائلة وهذا الجمال الزائف المتغير والمتقلب الى أصل الجمال وخالقه ٠٠ ذلك الجمال الحق الذي لن يتغير قط أو يعتريه شبه تغيير ٠٠ فتجد العين مسرتها في التأمل الى ما وراء كل جمال اذ تستطيع أن ترى جمال الله في كل شيء ٠٠ وهكذا تنتقل من المخلوق الى الخالق ومن الأشياء الزائلة الى رؤية الحق الثابت ٠٠٠

وكذلك ينتقل السمع من انشغاله بالأصوات المحسوسة الى التوقي لسماع أصوات التسبيح والتمجيد التي تعجز الأذن المادية الضعيفة عن أن تبلغ اليها بينما تكون الأذن الروحية قد وصلت

الى حساسية رقيقة تتسمع بها أنغاما أخرى آتيه من الأبديه عذبة حلوة غاية فى الروعة والقوة (٥٣) ...

وعلى هذا فان ضبط الحواس لا ينشىء نوعا من السكبت أو الرسوسة ، وانما الضبط الروحى الواعى هو الذى ينهى عن الانزلاق الشهوانية المنحرفه ويأخذ مما فى الخارج ما يفيد فى تنمية ما فى الداخل ، وبالتالى يرفع الداخل الى الله نفسه «اكشف عن عينى فأرى عجائب شريعتك» (مز ١١٩ : ١٨) وأفضل منهج روحى يضمن بساطة الحواس وطهارتها ، ونورانية العين هو التعمق فى فضيلة المحبة .. فالذى يحب لا يشتم ولا يشتهى ولا ينم ولا يسمع الوشايه .. المحب دائما ينظر الى المحبوبين نظرات طاهرة نيرة ..

من يحب أخاه يثبت فى النور وليس فيه عثرة ، وامـا من يبغض أخاه فهو فى الظلمة وفى الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضى لأن الظلمة أعمت عينيه (١ يو ٢ : ١٠ ـ ١١) .

والذى يحب يحيا فى النور ويثبت فى الحق ويدخل الى الحياه الأبدية لأن المسيح هو النور والحب والحق والحياة ..

عفة الدافع الجنسى

ومن أهم الجوانب التى يحرص المؤمن على تعهدها تعهدا واعيا الدافع الجنسى ذلك لأنه من أعمق الدوافع وأهمها وأكثرها خصوبة فى الشخصية الانسانية .. واذا كان فرويد نظر الى الانسان من خلال الجنس الا اننا كمسيحيين ننظر الى الجنس من خلال الله والانسان .. ومعنى هذا أن الجنسية فى الانسان كما سبق وأوضحنا ليست خطيئة ولا أمرا معيبا وانما هى طاقه حيوية بهدف الى استمرار النوع والى توطيد شركة الحب والألفة بين الرجل والمرأة

لتكوين الوحدة بين الاثنين .. هذه الوحدة التى كان ينشدها الله فى الجنة منذ نشأة العائلة الأولى .

ولقد حرمت الكنيسة كل من ينظر الى الجنسية والزواج على أنه أمور نجسة أو محرمة ، وأوضح لنا الرسول بولس فى رسائله مدى كرامة الأعضاء التى يظنها الناس انها قبيحة .. وسر سترنا لهذه الأعضاء ليس لأنها قبيحة تجلب العار ولكن لأنها مكرمة وذات قيمة غالية وموضع احترام كبير فى الهيكل الانسانى فلا تعرى وتصير نهبا لعيون الزائغين ..

ولقد كشفت لنا دراسات مدرسة التحليل النفسى عن وجود الدافع الجنسى منذ الميلاد ، وأن تربية هذا الدافع فى السنين الأولى من العمر أمر هام وعليه تتحدد تكوين الاتجاهات الجنسية والنفسية العميقة فى شخصية الانسان ولكنه فى فترة المراهقة بالذات تتدفق حيوية هذا الدافع وتتهمر طاقاته كما تلتهب العواطف والمشاعر المرتبطة به .. وهذا أمر طبيعى ومبارك ويلزمنا أن نوجه هذه الطاقة توجيها روحيا واجتماعيا ونفسيا سليما . فالماء الهادر اما أن تكون سيلا محطما واما أن تكون نهرا مرويا مخصبا لما حوله .. واللهب اما أن تكون نيرانا محرقة واما أن تكون شعلة مدفئة وخادمة لأهداف الانسان ومتطلباته ..

وما نقصده بالضبط الواعى يختلف تماما عن الكبت .. والعفة المسيحية لا تشيء كبتا لأن العفيف قد تقدس فكرا ووجدانا وتزوعا وليس فيه أدنى انقسام فى الشخصية فالعفيف لا يحس بالفراغ ولا بالصراع لأنه مملوء حبا . أما الكبت فهو عملية سلبية فيه تهرب من الواقع ، ولكن الضبط فهو مرحلة لعملية ايجابية .. انه عملية انفتاح كامل الى الواقع وتعهد واع للجنسية واخضاعها بفرح ورضا للمثل الأعلى ..

بعض الذين يقعون تحت سيطرة الكبت الجنسى بسبب ظروفهم الخاصة يلبسون رداء التدين وينادون باتجاهات منغلقة منحرفة تجعل الشباب يكره الدين والتدين .. وهؤلاء يحملون الناس احمالا عسيرة لايلمسونها هم بأطراف أصابعهم ، ويركزون الاهتمام فى التعليم على الشكليات ولا يلمسون الجوهر . يهولون فى الأمور الجنسية وينقلون التحذيرات ولا يستطيعون أن يمدوا أيديهم لمساقطين كى ينقذونهم .. هؤلاء يمتلىء الجو الدينى بهم وهم ينقون نبه بظلهم ويحملونه انحرافهم المعتم ..

ان العفة المسيحيه ايجابيه قوامها الحب والانفتاح وتكريس دافع اجنسى للرب (٥٣) .

ويلزمنا أن نساعد المراهقين على تصعيد طاقاتهم الحيويه وتوجيهها فى اتجاه الوثبات النبيله التى ترتسم فيهم بغزة .. لغة اذا توقانيهم الى الحق والخير والجمال ولنفتح لهم فى سبيل هذا آفاق المعارف الانسانية ساهرين على اهتمامهم بها شخصيا ونرتب لهم الرحلات الى الحدائق والقرى ليتمتعوا بالطبيعة وجمالها ولندربهم على التفتح للفنون وللموسيقى ، ولنحول رغبتهم فى التسلط نحو تسلط النفس وفتح قمم الفضيله العاليه .. ولنشجع المراهق على ان يجعل من حياته شيئا جميلا .. وفوق كل شيء لنسهر على أن يحب المراهق الله بتبوعا أولا وغرضا أسمى لكل ما يتوق اليه من الحق والخير والجمال وأن يشعر الله وكأنه أشد قلبية اليه من نفسه حسب تعبير أوغسطين لنساعده على المضى بعمق وعلى النضوج فى وثبته الروحيه التى هى طبيعة هذا السن ، باعطائه أهدافا عاليه ليحققها محبة بالله .. وبتذكيره بضرورة تجسيد هذه الغايه فى أبسط حقائق الحياة اليومية » (٥٤)

تتقدس الدوافع الجنسية عند المراهقين من خلال الحياة الدينية الحية بقراءة الانجيل بصورة مستديمه وبالاشتراك المتكرر

فى القداس الالهى والأسرار ، على أن تكون هذه الحياة نقية من أى عنصر من عناصر البوعه ومساعدة على اقتلاع الجراثيم من فرديته الشيقه وجاعلة اياه شريكا بالروح القدس فى حياة جسد المسيح السرى .

فى الفترة الطويلة التى ما بين اخراهفه والزواج يعمل المسيحى العفيف نحو تربية العفة والمائها فى حياته استعدادا لاستقبال الحياه الزوجيه المباركة . انه يحفظ نفسه من كل دنس من أجل الحب .. انه يرفض الخضوع للنداءات الغريزية من أجل تكريم حب المستقبل الذى سيحياه حارا طاهرا نقيا .. انه يرفض الخبرات الجنسيه السابقه للزواج لكى يحمل لزوجته شهادة عفه وأمانه وحب . انه يرفض أن يعذب من خطيبته فى فترة الخطوبه لأنه ككرام ماعر أمين يريد أن يحتفظ بالبستان ناضرا مليئا بالورود الجميلة الرائحة التى ان أضعت انيا أيدى عابثة ذبلت وضاع جمالها ..

وهكذا ستظل العفة فى فترة الخطوبة ـ على قدر مشاقها ـ شهادة أمانة للزوجين وللمسيح رئيس الكهنة الأعظم .. يلزم أن يسبق الزواج عاطفه عميقه ومعرفة نيرة وانسجام تام أساسه أيمان واحد بالمسيح الحياة ، وغاية واحدة لتحقيق ملكوت الله ..

والشاب المسيحى لا ينشغل بالمعرفة الجنسية كمعلومات لأنه يعرف ان هذا منزلق وعر . حقا انه لا غبار على المعرفة فى أى مجال علمى الا أنه فيما يختص بالجنس فان الأمر هنا متداخل على مشاعر الانسان وعواطفه العميقة وما أسهل أن يستغل ابليس الميل للمعرفة الجنسية فيعود الانسان من معرفة عموميات الجنس الى التفاصيل الدقيقة ويخرج الأمر من نطاق العلم الى التلذذ والتشهى وتفتيح ذهن الانسان الى أمور لم يحن أوانها فيفسد القلب ، وتبرد العواطف الروحية ويتنجس الذهن بالصور والخيالات . ان العلاقات الجنسية والعاطفيه فى الزواج أمور تلقائيه لا تحتاج الى تلقين أو دراسات

ولا يليق أن يضطرب بسببها ذهن الشاب أو الفتاة ٠

على أن التعفف في الجنسيه يمتد الى ما بعد الزواج لأن العفاف ليس فضيلة مرقوته بزمن محدد وانما هي ثمرة من ثمار الروح القدس ٠

والعفة في الزواج تقوم على المحافظة على المعنى الأصيل للحياه الجنسيه ، انها اخضاع احياء اجنسية للحب الذى يجعل كلا من الزوجين يشعر أن رأى الآخر وراحته وسعادته ثمينة وهامه كحياته تماما ٠٠ هذه العفة هي أن يكون العمل الجنسى معبرا عن الاهتمام الكلى بالآخر ٠٠ وعلى ذلك فان العفة في الزواج تقتضى من كلا الزوجين أن يواصل تحفظه الشديد من الشهوه الرديئة والانحراف أو الانهماك في التلذذ الحسى كهدف في حد ذاته لكى يكون الذين لهم نساء كان ليس لهم ٠٠٠ والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم تزول ٠ وليس الزواج في نظر المسيحية مساومة وارضاء لضعف البشرى بل هو تحقيق واقعى بالنعمة لكيان الانسان الشامل ٠ ان البطولة المسيحيه في الزواج هي في أن يحيا الانسان بالمسيح وفى العالم ٠٠ انه مقدمة لانتقال الانسان من الحالة البشريه الى الحالة الملائكية وذلك بالتخلى عن العالم كعالم وبتحويله الى ملكوت الله ٠٠ ان الزواج محبة وفرح ورمز لملء الحياة بالله ٠ ولكن الحب الزوجى حب غير منظور ينبع من داخل الروح ٠ انه تجسد الأبدية في الزمان وحضور الله الفعلى في الشركة الزوجيه ٠ ان ماهية الحب لا تنكشف بالدلائل المنظوره بل بالايمان والرجاء (٥٥) ٠

والزوجان المسيحيان يلزمهما أن يختبرا لمسات من حياة البتوليه ٠ ان زواجهما مرتبط بالملكوت ، يتعجلونه بتقديس أنفسهما وأنفس أولادهما أيضا ٠ لذا نص قانون الكنيسة على أن يهجر الزوجان ـ بارادتهما واتفاقهما ـ مضجع الزوجية أيام

الأصوام ، والأيام التى يستعدان فيها للاقتراب من جسد المسيح ودمه ، والأيام التى يتناولان فيها من هذا السر العظيم ..

على أن الجنسية فى المسيحية قد تسمو الى حد أن يقدم المؤمن طاقاتها مع طاقات الجسد كله محرقة لأجل الرب وهنا تمتد شعلة الحب فى الانسان لكيلا تنحصر فى زوجة وبضع أولاد وانما تتسع فى أبعادها الى حد أن يصير القلب كله لله ولجميع البشر ..

فالبتوليون هم جماعة امتلأت قلوبهم بالحب السمائى ورغم أنهم وجدوا أنفسهم قادرين على تكوين حياة زوجية ناجحة ولديهم الامكانيه أن يسعدوا زوجاتهم وأولادهم ، وعندهم العفة التى تمكنهم من أن تكون حياتهم الزوجيه من أجل المسيح ، لكنهم من أجل شدة حبهم فى الملك المسيح ومن أجل شدة رغبتهم فى التفرغ للختن السماوى طلبوا ما هو أفضل منتظرين أن يزفوا للعريس السماوى فى مدينة الأبكار .

البتولية هى تكريس كامل للطاقة الجنسية وللجسد كله . هى حياة مجيئية تئن مشتاقة لمجيء الرب الأمين وهى فى تطلعها ولهفتها هذه تسحب الملكوت ليغطى حياة البتوليين كى تتحقق الطلبة « ليأت ملكوتك كما فى السماء كذلك على الأرض » .

الموضوع الرابع

قيامة الجسد وفداؤه وتمجيده

- قيامة الجسد
- فداء الجسد
- تمجيد الجسد
- تمجيد الكون كله

• • قيامة الجسد :

يعطى الفيلسوف اثيناغورس أدلة على قيامة الأجساد فى مقال موسع عن القيامة من الأموات ونقتطف من مقاله أهم الأفكار اذ يقول « غير ممكن أن يكون الله جاهلا بطبيعة الأجسام التى ستقوم ولا بالأماكن التى توجد فيها الخلايا المتحللة للجسم المائت ، ولا بالشكل الذى تحولت اليه هذه الأجسام ، رغم ما يبدو للانسان من أنه يستحيل أن ينفصل عن الأرض ذلك الذى اتحد بها وضاع فيها ، لأن ذاك الذى صدرت عنه هذه الأجسام لا يمكن أن تختفى حقيقتها عنه اذ هو يعرف مما تتألف ، كما يعرف الأشياء التى أخذها عنها لتكوينها ، فهو والحالة هذه يعرف أين تحللت وأى شكل اتخذته بعد تحللها .. واننا نعرف باختبارات وبما جمعناه من معارف أن ايجاد المخلوقات من العدم وابرازها فى شكل معين بعد أن كانت لا شكل لها أعظم من اعادتها الى ما كانت عليه بعد أن تحللت ، على أن الحالتين — بالنسبة لحكمة الله وجلاله — متيسرتان ، وكل منهما سهل كالآخر تماما . فهو يعرف مقدما الأشياء قبل وجودها ، كما يعرف ما تحلل منها ووسيلة جمعه » .

فالذى خلق يستطيع أن يقيم ويحيى ...

وفى موضع آخر يقول « والجسد نفسه لن يناله ضير فى القيامة ، لأنه ان كان لا يضام فى هذه الحياة حيث يتحد الفاسد بغير الفاسد فكيف يضام متى اتحد عدم الفاسد بعدم الفاسد ؟! ثم انه لا يوجد من يقول أن القيامة عمل غير لائق بالله — لأنه ان كان الشىء الأدنى وهو خلق الجسد المعرض للآلام والفناء — جديرا بأن

يخلقه الله فمن يجسر على القول بأن العمل الأسمى ـ وهو تجميع الأجسام التي تلاشت ـ غير لائق به ؟!

ثم يستطرد في الحديث ويقول « ان هدف الخلق هو القيامة لأن الانسان لم يخلق للموت والموت جاء أمرا عارضا على الانسان والله داس الموت بالموت .. فأول الأدلة على القيامة هو الخلق ذاته ـ أو بالحرى الغرض الذي استهدفه الخالق من صنع الناس وان كان الموت هو هدف الخلق وموضوعه فان خير المبادىء هو المبدأ القائل « لنأكل ونشرب لأننا غدا نموت » (٥٦) .

فالله الحكيم الذي خلق الانسان وزينه بالعقل والحكمة يستحيل أن يكون قد خلقه ليقذف به بعد سنين معدودة الى باطن الأرض ليكون طعاما للديدان والحشرات كالخس الذواب .. ثم انه ليس أسوأ على الانسان من أن يعتقد أنه كسائر أنواع الحيوان يعيش ويموت مثلهم اذ أن هذا الاعتقاد فرق ما فيه من اهانة فادحة للانسان فهو في أقصى حدود الاهانة لحكمة الخالق وفطنته .

والأجساد القائمة هي بعينها الأجساد التي ماتت فالله تعالى لن يخلق للانسان جسدا بخلاف الجسد الذي عاش به على الأرض ، ولكنه يقيم نفس الجسد الذي لبسه قبل موته . ويكون عمله في ذلك كمثل انسان خلع ثوبه ثم عاد فلبسه . ولو كان الله يقيم جسدا آخر ليورثه المجد أو الشقاء لكان هذا أمرا بعيدا عن التصديق لأنه كيف يرضى بأن يعطي المجد لجسد لم يجاهد على الأرض أو كيف يعذب جسما لم يتدنس بخطية ما

« ان لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير » (يو ١٢ : ٢٤) ؛ راجع أيضا (١ كو ١٥ : ٣٥ ـ ٣٨)

والأدلة الكتابية على قيامة الأجساد كثيرة ونجد الشيء الكثير

عنها فى العهد القديم فقد دل موسى على القيامة فى أمر العليقة كما يقول الرب انه ابراهيم واله اسحق واله يعقوب وليس هو اله أموات بل اله أحياء لأن الجميع عنده أحياء (لو ٢٠ : ٣٧) .

ونقد كانت اشـــارة حزقيال النبى للقيامة العامة غايـــة فى الصراحة فهو يقول « كانت على يـــد الـــرب فأخرجنى بروح الرب وأنزلنى فى وسط البقعة وهى ملآنة عظاما .. فقال لى يا ابن آدم أتحيا هذه العظام . فقلت يا سيد الرب أنت تعلم . فقال لى تنبأ على هذه العظام وقل لها ... هانذا أدخل فيكم روحا فتحيون ، وأضع عليكم عصـــبا وأكسيكم لحمـــا وأبسط عليكم جلدا وأجعل فيكم روحا فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب » (حز ٣٧ : ١ ــ ٦) ثم يقول « فتنبأت كما أمرنى فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدا جدا » (حز ٣٧ : ١ ــ ١٠) وبعد حزقيال تنبـــأ دانيال عن القيامة بقوله « وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون هؤلاء الى الحياة الأبدية وهؤلاء الى العار للازدراء الأبدى (دا ١٢ : ٢) ... والرب يسوع نفسه علم عن القيامة فى مواضع كثيرة نذكر منها :

+ تضـــلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قـــوة الله لأنهم فى القيامـــة لا يزوجون ولا يزوجون بل يكونون كملائكة الله .
(مت ٢٢ : ٢٩ ــ ٣٠)

+ لأنه كما أن الآب يقيم الأموات كذلك الابن أيضـــا يحيى من يشـــاء (يو ٥ : ٢١) .

+ كل مـــا أعطانى لا أتلف منه شـــيئا بل أقيمه فى اليوم الأخير (يو ٦ : ٣٩) . وهو نطق يفيد أن نفس المؤمن لا تنال كمال الحياة الأبدية الا متى قام الجسد وشاركها السـعادة لأن فداء الانسان يتضمن فداء جسده أيضا .

« ثم تكلم الرب يسوع عن القيامة بقوله » يجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء (مت ٢٥ : ٣١) .

ولم يعلم الرب يسوع عن القيامة فقط بل برهنها عمليا اذ أقام من بين الأموات ثلاثة هم :

- ابنة يايروس
- ابن أرملة نايين
- لعازر أخو مريم ومرثا

كما أن هناك كثيرون قاموا من الأموات ساعة صلب الرب يسوع .. ثم كانت المعجزة الكبرى التي هي أعظم برهان على قيامة الأموات وهي أن الرب يسوع قام بنفسه وقدرة لاهوته وحطم المتاريس وأبطل عز الموت وسحق رأس الحية وفتح باب الفردوس لجميع المسيحيين من بني آدم وذريته .

وأما بولس الرسول فان كتاباته وأقواله كلها مليئة بالتعليم عن قيامة الأجساد من بين الأموات ، ونذكر قليلا منه :

فهو أمام فيلكس الوالي يقول « ولي رجاء بالله فيما هم أيضا ينتظرونه أنه سوف تكون قيامة للأموات الأبرار والأثمة ، لذلك أنا أيضا أدرب نفسي ليكون لي دائما ضمير صالح بلا عثرة من نحو الله والناس » (أع ٢٤ : ١٥ ـ ١٦) .

وفي موضع آخر يقول « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبها بموته ، لعلي أبلغ الى قيامة الأموات » .
(في ٣ : ١٠ ـ ١١)

وفي موضع ثالث يقول « لأنه ان كنا نؤمن ان يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضا معه » فاننا نقول

لكم هذا بكلمة الرب اننا نحن الأحياء الباقين الى مجيء الرب لا نسبق الراقدين . لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولا . ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب للقاء الرب في الهواء . وهكذا نكون كل حين مع الرب .
(١ تس ٤ : ١٥ ـ ١٧)

ويعطي الرسول بولس تأكيدا على قيامة الأموات عندما يقول : « ولكن ان كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات . فان لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام . وان لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا ايمانكم .. أنتم بعد في خطاياكم اذا الذين رقدوا في المسيح أيضا هلكوا .. ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين (١ كو ١٥ : ١٢ـ٢٠) وهكذا يرى الرسول بولس أن رجاء المسيحي هي قيامة الأموات هي موضوع كرازته وسبب تعبه وخدمته وان انتفت فانه يكون أشقى جميع الناس .

من أجل هذا نحن نشكر الله الذي جعل أيام غربتنا قصيرة ووهب لنا بالموت الجسدي عبورا الى حياة أفضل الى مدينة سمائية مقدسة أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها .. نعم هناك يسكن الله معنا ونحن نسكن معه . ونحن نكون له شعبا وهو نفسه يكون معنا الها ويمسح كل دمعة من عيوننا والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع لأن الأمور الأولى قد مضت (رؤ ٢١ : ١ـ٤)

اين النجد يا رب يسوع يا من كسرت شوكة الموت بموتك ، « أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية » ـ وبا من أعطيتنا بقيامتك قيامة وبرا ومجدا وفوزا وحياة أبدية ..

على أنه اذا كانت قيامة الأموات أمرا مستقبليا أخرويا نتوقعه بالرجاء وننتظره بعين الايمان الا أن الرب يسوع بين لنا أن هناك قيامة حياة للأبرار وقيامه دينونة للأشرار .. في يوم مجيئه المبارك المخوف المملوء مجدا سوف يفرز الحنطة عن الزوان والخراف عن الجداء .. ونحن نستطيع أن نتحقق من قيامتنا للحياة الممجدة ان كان ملكوت الله عاملا فينا في هذا الزمان الحاضر . فالرب يسوع يقول : « تأتي ساعة وهي **الآن** حين يسمع الأموات صوت ابن الانسان والسامعون يحيون » . وفي موضع آخر يقول : « أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من آمن بي وهو حي فلن يرى الموت الى الأبد » (يو ١١ : ٢٥)

◆◆ فداء الجسد

يقول الرسول بولس « وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضا نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا » (رو ٨ : ٢٣)

وفي هذه الآية المقدسة يكشف لنا الرسول بولس عن عقيدة ايمانية هامة وهي أن الجسد عند المؤمن لن يكمل فداءه الا بالموت والقيامة .. فنحن نعيش الآن على هذه الأرض بجسد ترابي ساقط . ونشابه كل الناس في أجسادنا ، فليس هناك ثمة اختلاف بين مؤمن تقي وانسان شرير في أجهزة الجسم وعملياته البيولوجية .. هذا الجسد الترابي الذي يحرص المؤمن على روحنته واخضاعه لمشيئة الله وتقديسه بسكنى الروح القدس وحلول المسيح سريا فيه .. هذا الجسد سيذرع في فساد ويقوم في عدم فساد .. وهنا يكمل فداء الانسان عندما يأخذ الرب المختارين ويدخلهم الى قدس أقداس السماء حيث الآب السماوي لنكون مع الرب كل حين . وعندئذ يتحقق القول أن آخر عدو يبطل هو

نوب وعقيدة فداء الجسد وقيامته في حالة نورانيـة أمر مقـرر كتابيا .. فقد أوضح لنا الرب يسوع في حديثه مع الصدوقيين الذين ينكرون قيامة الأموات أن الجسد سيقوم على شبه ملائكة الله من حيث أنهم لا يزوجون ولا يتزوجون .. وذلك لأن هذه العمليات البيولوجية تكون قد أتمت رسالتها وبطل مفعولها لأن الأجسـاد الكثيفة لا تلائم الخلود ، ولحما ودما لا يستطيع أن يرث ملـكوت السموات .. فكل ما هو ترابي في أجسادنا سوف يبقى في التراب وكل ما هو سماوي سيحـد بأشخاصنا هـذا سيقوم في أجسادنا ليتمتع بشركة المجد مع القديسين ويمتلىء الى كل ملء الله من الفرح والنور والبهاء حسب وعد الله .

وقد شرح لنا بولس الرسول صورة قيامة الجسد بعـد فدائه بقوله « هكذا أيضا قيامة الأموات يزرع في فساد ويقام في عدم فساد ، يزرع في هوان ويقام في مجد ، يزرع في ضعف ويقام في قوة ، يزرع جسما حيوانيا ويقام روحانيا ، وكما لبسنا التراب سنلبس أيضا صورة السماوي .. فأقول هذا أيها الاخوة أن لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم فساد .. هوذا سر أقوله لكم . لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير ، في لحظة ، في طرفة عين عند البوق الأخير فانه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير . لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عـدم فساد وهذا المائت عدم موت . ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت الى غلبة . أين شوكتك يا موت أين غلبتك ياهاوية (١كو١٥ : ٣٧ـ٥٦)

ونستطيع أن نستخلص من هـذا الاصـحاح السمات الآتيـة لجسد الروحاني الذي اقتدى بالقيامة :

١ ـ يقام في عدم فساد ، في مجد وفي قوة .

٢ ـ ليس هيوليا ماديا لأن لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ٠

٣ ـ أن التغير سيحدث في لحظة وفي طرفة عين فتلبس أجسادنا الأرضية التي قامت من القبور مجدا وقوة تحول هذه الأجساد الى أجساد روحانية تتناغم مع الحياة في الملكوت ان كانت لقيامة الحياة أو لجهنم ان كانت لقيامة الدينونة ٠٠

٠٠ تمجيد الجسد

يقول بولس الرسول ان المسيح سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده (في ٣ : ٢١) ويؤيد ذلك يوحنا الحبيب بقوله : « ولكن نعلم أنه اذا ظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو » (١ يو ٣ : ٢)

ومعنى هذا أن أجسادنا الروحانية العتيدة ستكون مثل جسد ابن الله القائم من الأموات من حيث المظهر والقوام والأمجاد ولكن الذي يميز أجسادنا عن جسد ابن الله أن أنوار أجسادنا وبهائها وفداستها ليست ذاتية فيها بل منعكسة عليها من نور ومجد وطهارة جسد ذي الكمالات الذاتية الجوهرية (٥٧) ٠

والذي يميز جسد ابن الله عن أجسادنا القائمة أن الرب يسوع احتفظ في جسده الممجد بآثار جراح الصليب يتراءى بها أمام وجه الله ليشفع فينا كل حين ٠٠ وأجسادنا نحن لن يكون فيها دم ولحم ، ولن يكون فيها عيب أو نقص ، ولن يكون فيها ذكر أو أنثى ٠٠ ولكنها ستكون أجساد على صورة جسد مجد ابن الله ٠٠

يقول المسيح القمص ميخائيل مينا « ان أجساد القيامة تقوم بحال أشرف وأكمل مما كانت عليه قبل الموت فمن كان أعمى أو أعور أو أعرج أو أخرس او اصم فمتى القيامه يقوم صحيحا سالما

منصفا بكل كمال ، لأن الله يتمم في القيامة نقص طبيعتنا وفسادها وكذلك من كسرت عظامهم أو افترستها الوحوش أو احترقت بالنار ، فانها لا تهلك البتة لأن الله تعالى يحفظها وتتشرف بمجد القيامة » (٥٨)

وهذا يفسر لنا معنى اننا في المجد نكون أبناء قيامة أي أن أجسادنا الفاسدة التي كانت عرضة للموت قد بلغت السماء وصارت خالدة فوق كل زمان ومكان مهيأة لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلنا ..

وقد عرفنا من الكتاب المقدس عن الجسد الممجد في حياة الرب يسوع من خلال موقفين : واحد قبل القيامة ، وآخر بعدها .. أما ما قبل القيامة فهو حادث التجلي عندما أخذ الرب يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم الى جبل عال منفردين وحدهم وتغيرت هيئته قدامهم وصارت ثيابه تلمع بيضاء جدا كالثلج لا يقدر قصار على الأرض أن يبيض مثل ذلك ... وكانت سحابة تظللهم فجاء صوت من السحابة قائلا هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا

(مر ٩ : ١ـ٨)

ان تجلي جسد الرب يسوع على جبل طابور يكشف لنا جمال الصورة الالهية ويظهر لنا أيضا كيف كانت طبيعتنا الانسانية قبل أن تتلوث بخطية آدم وتوضح لنا ما تستطيعه وما يجب أن تصيره طبيعتنا البشرية

وأما الموقف الثاني فهو ظهور جسد ابن الله بعد القيامة بأشكال مختلفة ودخوله العلية والأبواب مغلقة (يو ٢٠ : ١٩ ، ٢٦) مرتين .. ثم صعوده بهذا الجسد الممجد منطلقا به نحو السماء حسبما شاهده آباؤنا القديسون (أع ١ : ١٠ـ١٢) وقد شاهد هذا الجسد المجد الجالس عن يمين الله القديس استفانوس رئيس

الشماسة عندما حنق اليهود عليه بقلوبهم وصروا بأسنانهم عليه ، وأما هو فشخص الى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس فراى مجد الله ويسوع قائما عن يمين الله فقال ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الانسان قائما عن يمين الله (أع ٧ : ٥٤ــ٥٦)

ولكن ثمة سؤال : هل جميع الأجساد ستقوم على صورة جسد ابن الله ؟ أم أن هناك أجساد ستلبس الروحاني لتخلد في العذاب، وأخرى تلبس المجد لتخلد في الملكوت وأبدية ابن الله ؟!

يجيب على هذا القديس مكاريوس الكبير بقوله « انه بالمدى الذى حسب الواحد ما أن ينال الروح القدس هنا بالايمان والثابرة ... بهذا المدى سيتمجد جسده في ذلك اليوم ، لأن ما اختزنته النفس في داخلها من نور سينكشف اذ ذاك ويستعلن خارجيا في الجسد .. في يوم القيامة سيخرج مجد الروح القدس من الداخل الى الخارج مزينا ومغطيا أجساد القديسين بالمجد الذى كان لهم من قبل والذى كان مختفيا داخل نفوسهم ستتمجد أجساد القديسين بذلك المجد اللامنطوق به الذى هو داخلهم أى الروح القدس العامل فيهم » .

ستتمتع أجساد القديسين بالنور والبهاء بعد القيامة ، وماهذا البهاء الا انسياب مجد النفس الى الجسد .. ففى الجسد الممجد سينكشف مجد النفس كما يبدو لون الشيء خلال الوعاء الزجاجي الشفاف الذى يحويه .. وهذا الجسد المتجلي جسد القيامة الساطع بنور الروح القدس هو ما يحاول الفنان أن يصوره رمزيا في أيقونات الكنيسة ..

فالجسد اذن سيشارك النفس بركات الدهر الآتي كما شاركها أتعاب البرية وجهاد أرض الغربة .

وفي القيامة العامة سيكون هناك فارق جذرى بين أجساد الأشرار وأجساد الأبرار (٥٩)

أما أجساد الأشرار فسيكون مخيفة وقبيحة وكما أنهم نجسوها بالخطية فى حياتهم فسيبقى الخطية لاصقة بها لتعطيها صورة شنيعة وشكلا تشمئز منه النفوس .. ستكون أجساد الأشرار مظلمة حالكة السواد مسيئة بالخزى والعار والخجل .. سيقولون للجبال والصخور اسقطى علينا واخفينا من وجه الجالس على العرش (رؤ ٦ : ١٦) فالعين التى نظرت الى الشهوات الخادعة سوف تسأم وتفزع من رؤية الشياطين المخيفة وتقشعر من طلام جهنم الدامس لأن النار ستحرق أجساد الأشرار ولن تعطيهم نورا بل يكونون فى حلوكة مرعبة وسواد مفزع (راجع أيوب ١٠ : ٢١ـ٢٢) والأذن التى رفضت سماع صوت الله فسوف تصم من سماع أصوات البكاء والعويل من الخطاة المعذبين والشياطين ، واللسان الذى تلذذ بالأطعمة ونطق بالكلمات الردية سيصيبه عطش عظيم حتى يلتهب التهابا مؤلما فلا تستطيع مياه البحار أن ترويه أو تخفف آلمه يقول القديس يوحنا ذهبى الفم « فترى تلك الساعة الألسنة المتكلمة بالالحاد والاباطيل تلتهب فى السعير التهابا متصلا ولا يجد من يرطبها ، وأسنان الخاطئين عندما يلمسها الملائكة تسحق كالخزف ، وأدواه الجدفين سيد بحمر النار الملتهبة ، وأيدى محبى الفضة تربط كالورقة وتعلق مجردة بألم لا يطاق ، والأعين التى كانت تنظر شزرا وغمزا تضحى منفجرة ...

أما أجساد الشهداء التى مزقتها حراب المضطهدين وقطعتها سيوفهم والتى احترقت بالنيران أو وضعت فى زيت مغلى فسوف يقيمها الله ويعطيها راحة كاملة ... رؤوسهم التى قطعت ستلبس الاكاليل وأعضاؤهم التى نشرت بالمناشير ستتحلى بالمجد والبهاء .. ستكون بهية محيدة مشرقة كالشمس منيرة كالقمر لامعة كالنور لأن البر سيكون لها كثوب أبيض والقداسة ستجعلها لامعة ناصعة وتظهر نقية مغسولة بدم المسيح فى أحسن مظهر وأمجد بهاء وتتم فيها وعد الله « وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يوجد

فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع لأن الأمور الأولى قد مضت » (رؤ ٢١ : ٤) والأعظم من هذا أنها تكون مشابهة لجسد المسيح الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده حتى اذا ما أظهر يكون مثله (فى ٣ : ٢١) (١ يو ٣ : ٢)

◆

وعلى الرغم من أن تجلى الجسد وفدائه وتمجيده لن يكون بالتمام الا فى قيامة الأموات ، وأن من السعادة الأبدية الذى سيمنح للقديسين لن يتم نهائيا الا حين يتشحون بجسد القيامة الا أن المؤمن يأخذ من هنا عربون هذا التجلى وهذا المجد .. يأخذه فى سر ، يأخذه فى الباطن .. وعند قلة من القديسين أعلن الرب نور حياتهم الداخليه علانية وهم على الأرض ..

فنحن نقرأ عن القديس العظيم الأنبا شنوده رئيس المتوحدين وكيف كانت يداه ووجهه تضيء وقت الصلاة ، وكيف كان القديس العظيم أرسانيوس يرى كشعلة من نار وهو يصلى ، والقديس سيرافيم الروسى كيف كان وجهه يضيء وجسده يلمع على شبه تجلى جسد ابن الله على جبل طابور .

يقول أحد الآباء « انه لما تجلى المسيح على جبل طابور هكذا تجلى خادم المسيح فى غابة ساروف » ، وكما أن الجراح التى تفجرت فى أيدى الشهداء والقديسين هى امتداد لصلب المسيح ، وتكميل تعانيص شدائد المسيح فى أجسادهم (كو ١ : ٢٤) هكذا يكون تمجيد أجساد شنوده ونيشوى وأرسانيوس وسرافيم وغيرهم امتدادا لتجلى المسيح ..

وكما يؤكد تجلى الرب يسوع قيمة الجسد الانسانى للاهوت الابن الكلمة هكذا يؤكد أيضا قيمة أجسادنا فى خطة الخلاص وحتمية تمجيدها كى تدخل السماء .

انها سوف تتحور ، سوف تمتلىء من مجد الله ، سوف تدخل اليوم الثامن يوم الراحة ، ذلك اليوم الذى لن يعرف ليلا ..

ان تجلي أجساد بعض القديسين باستباقهم قيامة الجسد يؤكدون أن الدهر الآتي للمسيحي ليس أمرا مستقبليا وأخرويا فقط وانما هو حاضر يتحقق ويبتدىء **الآن** ..

يقول القديس اغريغوريوس بالاماس «ان كان الجسد سيشارك النفس البركات اللامنطوق بها في الدهر الآتي فمن الضروري ان نشاركها على قدر الامكان هذه البركات الآن » (٦٠) .

وهكذا كان تحرر أجساد كثير من القديسين من المرض وتحكمهم في الوحوش وتجلي الوجه وعدم فساد بعض الأجساد بعد الموت.. انما هذه كلها كانت عربون تمجيد الجسد وعلامات مسبقة لما سيحدث لأجسادنا التي سنلبس عدم فساد وتقام في فرح لا ينطق به ومجيد ..

.. تجلي الكون كله

يقول القديس أثناسيوس الرسولي « انه لما سقط آدم تلوثت الخليقة المادية كلها بهذه السقطة..» ومعنى هذا أن عبودية الفساد التي لحقت بكيان آدم وبنيه سرت الى الكون كله .. ولما جاء الابن الكلمة الى عالمنا هذا عاش تحت ناموس الطبيعة ليقدس كل ما في الطبيعة .. بأكله قدس الطعام وبعماده قدس الماء وبصلبه قدس الهواء وبممارسته النجارة في بيت يوسف قدس العمل والمهنة..

ولم يعد هناك شيء نجس يدخل الانسان المؤمن .. ولكن الجسد الانساني لم يفتدى بعد ومعه لم تتجلى بعد الخليقة المادية .. والرسول بولس يوضح هذا الموضوع بقوله « لأن انتظار الخليقة بتوقع استعلان أبناء الله اذ أخضعت الخليقة للبطل ليس طوعا بل من أجل الذي اخضعها على الرجاء . **لأن الخليقة نفسها ستعتق من عبودية الفساد الى حرية مجد أولاد الله** لأننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معا الى الآن . وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضا نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا » (رو ٨ : ١٩-٢٣)

ومعنى هذا أنه فى اليوم الأخير لن يخطف الانسان من بين الخليقة بل ان الخليقة كلها ستخلص وتتمجد معه . حينئذ رأيت سماء جديدة **وأرضا جديدة** لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا (رؤ ٢١ : ١)

وكما يشير مجئ المسيح الى قيامة الأجساد فى اليوم الأخير فانه يشير أيضا الى التحول الذى سيتناول الكون كله ، ذلك لأنه على جبل طابور لم يتجلى وجه المسيح فقط بل **سطعت ثيابه أيضا**، اشارة الى أن المادة سوف تتجلى أيضا مع تجلى جسد الانسان ..

واذا كانت الكنيسة الارثوذكسية تقدس المادة فى الأسرار الالهية وصنع الايقونات المكرسة فى الكنائس .. وأضحى الماء والزيت والخشب والخبز والخمر .. كل هذه تتقدس بحلول الروح القدس عليها فان المادة سوف تتجلى عندما تنحل العناصر وتذوب ويقيم الرب أرضا جديدة يسكن فيها البر الى الأبد ، سوف يعاد الى الخليقة ما كان لها من جمال وتناسق وروعة وبهاء أخفته وشوهته خطيئة آدم وعصيانه .

وسوف يأتى يوم يتجدد الانسان ويتجلى ويصبح فى حياة شركة دائمة مع الله وسوف ينال الخليقة المادية بعضا مما ناله كاهنها وسيدها ، وكما كان التشتت والاضطراب من خلاله سيكون التجلى والتجدد معه أيضا ..

كم تؤثر هذه العقيدة الايمانية فى حياتنا .. اننا لن نرى المادة فيما بعد فسادا ولن نعتبرها ضد الروح كما ترى الافلاطونية ولكنها مجال مبارك لحضور روح الله وتقديس الكون كله .. اننا مسئولون عن العالم ومسئولون أن نصلى لأجل كل ما فيه من حيوانات ونبات كثمار الحقل والعشب وكذا الهواء ومياه الأنهار..

خاتمة

ان الجسد اذا رفض الشهوات الدنيئة لا يعود يسحب النفس الى أسفل بل انه يتصاعد معها الى حد أن الانسان كله يصبح روحانيا .. والفرح الروحي الذي يسري من النفس الى الجسد يسمر حقيقة روحية حتى وهو عامل في الجسد ، انه يروحن الجسد .. يحوله الى كيان روحي وبهذا الكيان وحده يؤهل لدخول ملكوت السموات ..

وعلى هذا فان الرجاء المبارك المتضمن فداء الجسد وتمجيده يتطلب منا توبة حاسمة ، وحرصا على تحديد الذهن وعدم مشاكلة هذا الدهر ذلك لأن الفاسد لا يستطيع أن يرث عدم فساد.والذي لم يقدر أن يتذوق طعم الحياة الروحانية هنا وهو في الجسد كيف يمكنه أن يعيش الأبدية فيها بعد القيامة ؟!

واذا كانت الأبدية امتدادا لحقيقة معاشه الآن في هذا الزمان فانه يلزمنا أن نعمى أعمية القداسة وحياة التقوى كمنهج لازم للانتقال من هذا العالم الى الحياة الأخرى..وان كنا نتوشح بالمسيح هنا فسوف نراه في مجد أبيه هناك ، وان كنا نفرح هنا فرحا روحانيا فسوف نعاين ملكوت الفرح الأبدي هناك ، وان كنا نتذوق حياة القداسة ونحن في الجسد فسوف نتغير لنحيا مع الملائكة والقديسين الأبكار مسبحين الله القدوس كل حين ..

ويقول أحد الآباء ان قطبا التدبير المسيحي للخلاص (٦١) هما التجسد والمجيء الثاني .. بالتجسد دخل اللاهوت في المادة واحتضنها واتحد بها وصار الكلمة جسدا ، بالتجسد نزل الله من المجد الى عالمنا .. هذه هي الحركة الهابطة ، انها قطب الخلاص الأول .

أما القطب الثاني فهو المجيء الثاني الذي فيه سيغير الطبيعة الانسانية كلها وتتحول الى كيان روحي ممجد بل ويتقدس الكون كله اذ يصنع الرب الاله حسب وعده سماء جديدة وأرضا جديدة، انها الحركة الصاعدة التي فيها يأتي الرب ويأخذ الكنيسة ليصعدها الى مجد أبيه .. وهذا هو القطب الثاني للخلاص ..

بين هذين القطبين تعيش الكنيسة في الزمن مجاهدة ساعية نحو تنفيذ مقاصد الله وتحقيق خطته الازلية .. انها تستخدم وسائط النعمة بكافة أنواعها من أسرار وصلاة وتحيس وأنواع الخدمات كي يتغير الانسان من الحياة الجسدية الى الحياة الروحانية، انها تسعى الى أن تلدهم ولادة جديده بالعمودية وتعطيهم جسد ابن الله ودمه كي يثبتوا في الحق والنور والحب وتحثهم على التوبة الدائمة وحزن النفس والجسد من دنس الجسد والروح حتى اذا جاء ملء الأزمنة واكتمل عدد المختارين ينهي الرب الزمن ويأتي ليأخذ مؤمنيه ليدخلهم الى كنيسة الأبكار ، وكلما كانت الكنيسة واعية رسالتها نشطة في خلاص أولادها ، ساهرة في صون المؤمنين وتثبيتهم ضد تيارات العالم الفاسدة ، وكلما كانت شاهدة للرب بقداسة أبنائها وتعففهم وتجردهم كلما أسرعت ساعة المجيء الثاني .. ذاك اليوم السعيد الذي فيه تنتهي المعاناة ويبطل الجهاد والتعب ويدخل الجميع في يوم لا ليل له ولا يكون هناك حزن ولا تنهد ولا وجع لأن الخروف نفسه يكون وسطهم ويرعاهم ويقتادهم الى ينابيع حية ..

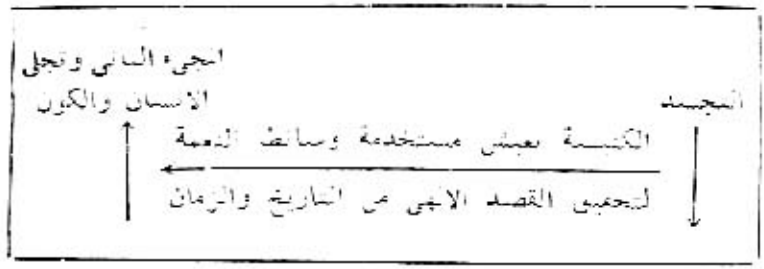

وفي اطار حياة المؤمن الشخصية فانه اذا تأمل داخله جيدا فانه واقفا لوجهة النظر المسيحية سيجد نفسه محتويا على المستويات الثلاث للكينونة ففيه العالم الروحاني لأنه روح ، وفيه العالم الانساني لأنه نفس وشخصية انسانيه ، وفيه العالم الأرضي الحيواني لأن في جسده يسكن الانسان العتيق • وفي طبيعته الثلثة للروح والنفس والجسد يجمع الانسان ما بين المستويات العليا والمستويات السفلى •• الأمر الذي يعطي للانسان كرامة تفوق في سموها الحيوانات بل والملائكة أيضا طالما هو أوسع نطاقا من الثلاث •• وما على المؤمن الا ان يسلم للرب زمامه الداخلي فاذ بحياته ترتفع من كل ما هو سفلي لتصير حياة انسانية روحانية وعندما تصبح هذه الحياة لائقة أن تقدم ذبيحة مقدسة مرضية أمام الله •

المراجع والمقتطفات

1) Allchin, M.,: Sacrement and Image, St. Alban, & St., Sergius Fellowship.
أرقام المقتطفات ١ ، ٢ ، ٧ ، ٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١

2) A.N.F. Vol. II
رقم ٥٦

3) Layard, j., Incarnation and Instinct.

4) St., Vladimir's Seminary Quarterly 1964 Vol. 8
مقال السر العظيم للأب جورج خضر رقم ٣.

الرقم	المؤلف	المراجع	أرقام المقتطفات الواردة بالكتاب
٥	اثناسيوس الرسولى	تجسد الكلمة	٥ و ٦
		رسالته الى اموون الراهب	١٠
٦	باتوب عبده (الارشيدياكون)	كنوز النعمة جزء ٦	٥٧ و ٥٨
٧	بستان الرهبان	نشر مطرانية بنى سويف	٢٢ و ٢٧ و ٤٢

٨	بيرمان الناسك	الحاريات الروحية جزء أول	١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٦ و ٢٠
		وجزء ثان نشر اسبورتنج	٢١ و ٢٤ و ٢٥ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١
٩	الحاذقون فى العبادة	اصدار دير السريان	١٧ و ١٨ و ٢٣
		جزء أول وجزء ثان	
١٠	نسذوه السريانى (القمص)	يستقان الروح جزء أول وثان	٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧
١١	كوستى بندلى	النظرة المسيحية للعمل	
		(مقال بالنور)	٣٠ و ٣٤
١٢	كمال حبيب	حياة العفة	٤٠ و ٤١ و ٤٣ و ٤٨ و ٥٣
١٣	متى المسكين (الأب)	حياة الصلاة الأرثوذكسية	٢٦ و ٥٢
١٤	مقالات من مجلة مرقس	سنة ١٩٦٨	٣١ و ٣٢ و ٣٣
١٥	مقالات من مجلة النور	الحركة الشبيبية الأرثوذكسية	٩ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٥٤ و ٥٥
١٦	نجيب جرجس (الشماس)	الجسد . مطبعة الأمانة ١٩٤٠	٤ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ٣٥

محتويات الكتاب

صفحة

تصدير ٣

مقدمة – معنى الجسد ٧

أولا : كرامة الجسد **١١**

+ الجسد فى حياة آدم ١٣

+ الجسد فى حياة السيد المسيح ٢١

+ الجسد فى حياة المسيحى الحقيقى ٢٥

– مسئولية المؤمن ازاء كرامة الجسد... ... ... ٣٢

●

ثانيا : صلب الجسد **٣٩**

+ أهمية صلب الجسد ٤١

+ دور النعمة الالهية فى الجهاد ضد الجسد... ٤٥

+ مجالات صلب الجسد ٤٧

●

صفحة

ثالثا : تدبير الجسد ٦١

+ مفهوم السمك مسيحيا ٦٣

+ تدبير الأكل ٦٩

+ تدبير العمل والراحة ٧٣

+ تدبير الملبس والزينة ٨٠

+ تدبير الكلام والمناقشات ٨٧

+ تدبير الحواس وخاصة العين ٩٤

+ عفة الدافع الجنسي ٩٩

●

رابعا : قيامة الجسد وفداؤه وتمجيده ١٠٥

+ قيامة الجسد ١٠٧

+ فداء الجسد ١١٢

+ تمجيد الجسد ١١٤

+ تجلي الكون كله ١١٩

●

خاتمة ١٢١

المراجع والمقتطفات ١٢٤

للمؤلف

١ ـ أسس التربية المسيحية (جزءان)
٢ ـ فى التربية المسيحية (بالاشتراك مع الأستاذ سليمان نسيم)
٣ ـ المنهج العام لمدارس الأحد سنة ١٩٦٠
٤ ـ مستويات تدريس الميلاد والقيامة
٦ ـ دروس برامج الدين المسيحى للمرحلتين الاعدادية والثانوية نشر مكتبة المحبة سنة ١٩٧٠
٧ ـ صوت الرب
٨ ـ سر الحب
٩ ـ الأسرة المسيحية
١٠ـ التدين السليم
١١ـ العبادة المقبولة

تصويب

صفحة ١٤ عند كلمة ميكروكوزمس سطر ١٥ يوضع رقم (١)
صفحة ٢٦ يشطب رقم (٨) فى السطر الثالث .
صفحة ٥٨ يشطب رقم (٢٦) فى آخر كلمة بالصفحة .

رقم الايداع بدار الكتب ٤٥٨٥ لسنة ١٩٧٠

مطبعة دار العالم العربى
٢٣ شارع الظاهر ـ بالقاهرة
تليفون ٩٠٦٧٠٦

هذا الكتاب

تهدف هذه الدراسة الى ايضاح نير سليم لمفهوم الجسد وكرامته ، وصلبه ، وتدبيره ، وقيامته ، وفداءه وتجليه .. وذلك من خلال الانجيل المقدس وكتابات الآباء ..

+ فماذا يقصد بكلمة الجسد فى الكتاب المقدس ؟

+ وما هى كرامته ومركزه فى الحياة الروحانيه ؟

+ وما هى الحروب ضد الأوجاع الجسديه والنفسيه والارادية ؟

+ وما أهمية التدبير الجسدى من جهاد المؤمن ؟

+ ثم ما معنى أننا متوقعون التبنى فداء أجسادنا ؟!

هذه بعض القضايا التى تعرض لها كتاب روحى اجتماعى نفسى على قدر بالغ من الأهمية

يطلب من مكتبة التربية الكنسية
بمارميتا بشبرا شارع الريس محرم بأول الترعة
ومن جميع المكتبات المسيحية

مطبعة العالم العربى
٢٣ شارع الظاهر تليفون ٩٠٦٧٠٦